صفحات من تاريخ أهل السنة والجماعة ببغداد

(200-500 هـ/815- 1106 م)

الأستاذ: خالد كبير علال

- ماجستير في التاريخ الإسلامي

مطبعة هومة

- الجزائر -



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وبعد:

هذه صفحات متفرقة عن تاريخ أهل السنة والجماعة ببغداد بين عامي: (200-500 هـ/ 815 -1106 م) تروي أخبارا عن وضعهم الداخلي. وعن علاقتهم بالدولة العباسية، وبطوائف البلد الأخرى أقدمها للقراء الكرام. لعلهم ينتفعون بها، وهي محاولة تكشف جانبا من تاريخنا الإسلامي بمدينة السلام، عاصمة الخلافة العباسية. وليس المقصود منها الاستقصاء الكامل للحوادث. والتأريخ الدقيق لها. وإنما المقصود إبراز المسار العام للوقائع. وذكر نماذج منها.

وقد أصبح من الضروري، على المسلمين أن يدرسوا تاريخهم. بحسناته، وسيئاته، وبمفاخره ومهازله، وفق منهج علمي، يجمع بين طريقة أصحاب الحديث في تحقيق الرواية، وبين مناهج البحث التاريخي الحديثة. ولا نركّز على الجوانب المضيئة. ونضرب صفحا على الجوانب المظلمة. بل علينا أن ندرس كل ذلك. ونستفيد منه. وكم نحن في حاجة إلى الاعتبار بسلبيات تاريخنا أكثر من الحاجة إلى الاعتبار بإيجابياته. ألا ترى أن الله عز وجل، قص علينا في القرآن الكريم أخبار الأقوام الكافرة، والمؤمنة، على حد سواء، للذكرى، والاعتبار "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" سورة يوسف رقم الآية: 111، وحثنا على السعي لاكتشاف السنن التي تتحكم في حركة التاريخ، فقال: "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان

عاقبة المكذبين" سورة آل عمران، الآية رقم: 137. وقال: "سنة الله التي قد خلت في عباده، وخسر هنالك المبطلون" سورة غافر، الآية رقم 85.

وأشير إلى أنني استقيت كثيرا من الأخبار والتعاليق الواردة في هذا الكتاب من رسالتي في الماجستير عن الحنابلة ببغداد، مع تغيير الصياغة والمنهجية. وقد ركزت في مؤلفي هذا، على الجوانب المذهبية أولا ثم الاجتماعية والسياسية ثانيا من حياة أهل السنة ببغداد. وأغفلت الجوانب العلمية والاقتصادية.

وأخيرا أرجو أن يجد هذا العمل قبولا في أوساط المهتمين بالتاريخ الإسلامي خاصة، ولدى المثقفين عامة. وأن ينفع الله به كاتبه، وقارئه. إنه سميع مجيب.

والله من وراء القصد

الأستاذ: خالد كبير علال

التمهيد: نشأة الجماعة السنية وتطورها

ظهور جماعة أهل السنة:

توفي النبي(ﷺ) والمسلمون جماعة واحدة، ذات منهج واحد، قائم على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فتمكن الصحابة الكرام من التغلب على المشاكل التي واجهتهم، ونشروا الإسلام في بقاع شتى من العالم. فلما حدثت الفتنة بمقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان(ﷺ) سنة 35 هـ، وما تلا ذلك من حوادث مؤلمة في واقعتي الجمل وصفين[1] انشق الخوارج عن الجماعة المسلمة، وكفروا عليا، وعثمان، ومن والاهما[2]. ثم تبعهم الشيعة، الذين غالوا في موالاة أهل البيت وناصبوا جماهير الصحابة(ﷺ) العداء وكفروهم ومن والاهم[3] لكن الجماعة الأم بقيت تمثل غالبية المسلمين، ثم ازدادت اتساعا وتماسكا، بعد الصلح الذي تم بين الحسن بن علي، ومعاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- سنة 41 هـ، إذا تنازل الحسن لمعاوية بالخلافة. وتحقق ما ورد عن رسول(ﷺ) في الحسن عندما قال: «إن ابني هذا -أي الحسن- سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" رواه البخاري وغيره. فسمى النبي(ﷺ) الطائفتين المتنازعتين مسلمين. وعُرفت هذه السنة بعام الجماعة،

---

[1] عن تفاصيل الحوادث انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ط7، بيروت، مكتبة المعارف، 1985، ج7، ص:176 وما بعدها

[2] محمد صديق حسن خان: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، حققه عاصم بن عبد الله القريوتي، البليدة، الجزائر، دار الإمام مالك 1414هـ، ص63

[3] نفسه، ص:63

لاجتماع الناس على معاوية وهو أول الملوك[1]. وبذلك أصبحت الجماعة الأم تضم جماهير الصحابة والمسلمين.

وعندما كثرت الفرق الضالة، مصداقا لقول النبي(ﷺ) "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتي وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[2] تميزت جماعة المسلمين باسمها، ومنهجها، عن تلك الفرق المنحرفة. فتسمت بأهل السنة والجماعة إتباعا لقول النبي(ﷺ) "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ" (رواه أصحاب السنن وصححه الترميذي) أما الجماعة فهي الجماعة الأم التي اجتمعت على الحق ولم تتفرق في الدين. وعُرف أهل السنة بأسماء أخرى منها أصحاب الحديث، وأهل الأثر، والفرقة الناجية[3].

أما عن أصول المذهب السني، فهي منسجمة تماما مع القرآن الكريم، وسنة النبي (ﷺ) الصحيحة. وبها تميز عن مذاهب الخوارج، والشيعة، والمعتزلة نذكر منها أربعة أصول:

الأول- تقديم الشرع على العقل: فالعقل دوره، فهم الشرع، والالتزام به، قال تعالى: «وإن هذا صرا طي مستقيما، فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" سورة الأنعام/ 153. والعقل الصريح عند أهل السنة، موافق

[1] ابن تيمية: الخلافة والملك حققه حماد سلامة-الزرقاء- شركة الشهاب-بدون تاريخ- ص:34.

[2] رواه أبو داود، وابن ماجه، والترميذي، وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية أخرى زاد: "كلها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة" وفي أخرى "قالوا من هي يا رسول الله، قال: ما أنا عليه وأصحابي" انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص:383.

[3] ناصر عبد الكريم العقل: مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ط1، البليدة، دار ابن تيمية، ص:6.

للنقل الصحيح. ولا يتعارض قطعيان منهما أبداً. وإن توهم التعارض قُدّم النقل.[1]

الثاني- الابتعاد عن تأويل أهل الكلام: ويقصد به، صرف آيات الصفات عن ظواهرها، إلى محتملات مرجوحة تؤدي إلى نفي، وتعطيل صفات الله عز وجل، كقولهم "استوى" بمعنى استولى. أما التأويل الصحيح، فهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، بدليل صحيح من كتاب أو سنة.[2]

ويُذكر أن من معاني التأويل في اللغة التفسير، وما تؤول إليه حقيقة الأمر في حالة ثانية، كقوله تعالى: "هل ينظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله، يقول الذين نسوه من قبل...." سورة الأعراف الآية رقم: 53. وقد كان أئمة السلف الصالح، كأبي حنيفة(ت 150 هـ)، والأوزاعي(ت 157 هـ)، ومالك(ت 179 هـ)، وابن المبارك(ت 181 هـ)، والشافعي، (ت 204 هـ)، وأحمد بن حنبل(ت 241 هـ) يثبتون الصفات بلا تشبيه، ولا تعطيل.[3]

والثالث- الاعتماد على القرآن الكريم والسنة الصحيحة: فيجب الرجوع إليهما في الحياة المعاشية، والعلمية، بدون اللجوء إلى مناهج الفلاسفة والمتكلمين.[4] وقد استنبط السلف الصالح من كتاب الله، قواعد النظر العقلي"،[5] واستمدوا منه حقائق عالم الغيب. وفي ذلك يقول فخر الدين الرازي في آخر

---

[1] ناصر عبد الكريم العقل: مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة-ط1، الشبكة- دار ابن تيمية-ص:8

[2] محمد صديق حسن خان: قطف الثمر-ص:31

[3] محمد لبيب: محاضرات في السلفية- دار ابن تيمية- بدون تاريخ-ص:33

[4] محمد صديق خان: المرجع السابق-ص: 47-48

[5] محمد لبيب: المرجع السابق-ص:34-33

[6] في إطار تلك القواعد وضع أئمة السلف أصول العلوم الشرعية، كأصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث دون الحاجة إلى منطق اليونان.

حياته: "لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة، تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن الكريم، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع التعمق، في إيراد المعارضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول، البشرية، تتلاشى، وتضمحل، في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية"[1].

والأخير- أن الصحابة الكرام، كلهم عدول، هم أفضل الأمة بعد النبي(ﷺ) على رأسهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ويشهد أهل السنة لهؤلاء بالإيمان، والفضل، ومحبتهم دين وإيمان وبغضهم كفر ونفاق، مع الكف عما شجر بينهم، وترك الخوض فيه بما يقدح فيهم[2].

التطور العام للطائفة السنية ببغداد:

وقد نشر أهل السنة والجماعة مذهبهم في مختلف بقاع العالم الإسلامي، مشرقا، ومغرباً واستقروا ببغداد، منذ تأسيسها عام 146هـ، وهناك تميزت الجماعة السنية باسمها، وفكرها، عن المعتزلة، والشيعة، على رأسها أصحاب الحديث، كالإمام أحمد بن حنبل(ت 241 هـ)، وأحمد بن نصر الخزاعي(ت 231 هـ)، الذين وقفوا في وجه الخليفة المأمون(198-218هـ/813-833 م)، والمعتصم (218-227 هـ/833-841 م)، والواثق(227-232هـ/841-846م)، حين فرضوا عليهم القول بخلق القرآن، فدامت محنتهم نحو عقدين من

[1] محمد لبيب: المرجع السابق-ص:35

[2] نفسه: ص:25، وابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية-ط9-بيروت-المكتب الإسلامي-1988-ص467 وما بعدها

الزمن. ولما رفعها الخليفة المتوكل(232–247هـ/847–861م)، عام237هـ/851م، خرج أهل السنة، منتصرين، متماسكين، أكثر قوة، وعزما، ونفوذا في الدولة والمجتمع[1]. وبقيت الطائفة السنية ببغداد محافظة على كيانها، ووحدتها، حتى نهاية القرن الرابع الهجري/10م، رغم الخلافات والنزاعات التي شهدتها[2]. ثم تغير حالها في القرن الخامس الهجري/11م. عندما انشقت على نفسها إلى فرقتين متنازعتين. الحنابلة وأهل الحديث من جهة، والشافعية الأشاعرة، من جهة أخرى. وتجاذب الطرفان اسم أهل السنة وادعى كل منهما أن الاسم ينطبق عليه وحده[3]. فالحنابلة وأصحاب الحديث يعتقدون أنهم على مذهب السنة الذي فصّله الخليفة القادر بالله(381–422 هـ/991–1031م) في كتابه الذي رد به على المعتزلة والشيعة والأشاعرة[4]. وقال عنه الزاهد بن القزويني الحنبلي(442 هـ/1050م): "هذا قول أهل السنة وهو اعتقادي، وعليه اعتمادي"[5]. وأعلن القاضي أبو يعلى الفراء(ت458 هـ/1065م) أنه على معتقد الطائفة السنية المنصورة إلى يوم القيامة. وتبرأ من الإنتساب إلى الجهمية والمشبهة والأشعرية[6]. وأنكر أبو الوفاء بن عقيل (ت 513هـ/1119 م).

---

[1] عن الفتنة وتفاصيلها، انظر: ابن كثير: البداية – ج10، ص: 325 و ما بعدها

[2] كالتي حدثت بين الحنابلة والأشاعرة، وعنها انظر الفصل الرابع

[3] انظر أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة – ج2، ص: 197، و139، وابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: 313

[4] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم– الدكن – مطبعة دائرة المعارف العثمانية–1359هـ، ج8، ص109 وما بعدها

[5] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة–ج2،ص: 198

[6] نفس المصدر–ج2، ص: 108–109

دعوى الأشاعرة، موافقتهم للإمام أحمد[1]. وانتقدهم بقوله: "... وموهتم على الناس بأنكم من أهل السنة، وأهل الحق، وتسميتهم بذلك، وما أبعدكم عن هذه التسمية، مع تكذيبكم بنص القرآن" حين أنكروا تكلم الله باختياره ومشيئته[2]. وجعل ابن تيمية، أبا الحسن الأشعري ومتقدمي أصحابه من أهل السنة لكنه عدّ متأخري الأشعرية، من المخالفين لمذهب السلف، والقريبين من الاعتزال والفلسفة[3] لتقديمهم العقل على الشرع عند التعارض، وتأويلهم للصفات الخبرية كعلو الله واستوائه على عرشه[4]. أما الشافعية الأشاعرة ببغداد، فهم من جهتهم، يعتقدون أنهم على مذهب أهل السنة والجماعة، ويصفون الحنابلة بالابتداع والتجسيم[5]. وقد انتهى الأمر بالطائفتين إلى تبادل تهم التكفير والتضليل[6]. ويرى تاج الدين السبكي، أن الأشاعرة هم "أعيان أهل السنة ونصّار الشريعة، تنصّبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة" وقرر أن من طعن فيهم، فقد طعن في أهل السنة، ويجب على ولي أمر المسلمين تأديب وردع من يفعل ذلك[7].

---

[1] ابن عقيل: الرد على الأشاعرة العزال- حققه ونشره جورج مقدسي في: B.E.O.Damas:p73- Tome:XXIV-1971-P

[2] نفس المصدر- ص:91

[3] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول حققه محمد محي الدين وحامد الفقي-ط2- القاهرة- مطبعة السنة المحمدية 1950 ج2/9

[4] سفر عبد الرحمن الحوالي: منهج الأشاعرة في العقيدة-ط1- الجزائر- الدار السلفية-1990-ص:31 و 53

[5] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري-ص:313 وما بعدها

[6] ابن رجب الحنبلي: الذيل على الطبقات الحنابلة-ط دمشق- حققه هنري لاوست وسامي الدهان-1/27. وابن عساكر: تبيين- ص:313 وما بعدها

[7] تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى-حققه محي الدين عبد الحميد-ط1: القاهرة-مطبعة البابي الحلبي-1964 ج3 ص:376

واختلف الباحثون المعاصرون اختلافا بينا في تحديد من يمثل أهل السنة. فألحق محمد زاهد الكوثري الحنابلة بالحشوية، وجعل الأشاعرة من السنة[1]. ويرى مصطفى الشكعة "أن لقب أهل السنة أطلق أول ما أطلق على جماعة الأشاعرة" ثم اتسعت دائرته ليشمل أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد[2]. وهذا خطأ تاريخي فادح، يتعارض تماما، مع الحقائق التاريخية الثابتة، ولعله زلة قلم. وقسّم محمود صبحي السنيين إلى: سلف وهم أهل الحديث، وخلف ومنهم الأشاعرة وذكر أن الأشعرية كانت أشد الفرق، إصرارا على الانتساب للسنة لتطمئن الناس على أن مذهبها ليس مستحدثا[3]. وفرّق علي أبو ريان بين السلف، والأشاعرة، ويرى أنه يمكن التقريب بينهما لو كان للأشعري كتابه الإبانة، وقسم من المقالات. أما وقد تمسك أتباعه بنسبة مؤلفاته إليه فلا بد من شجب كل محاولة، للربط بين الجماعتين[4]. وأدخل سفر عبد الرحمان الحوالي، الأشاعرة في مفهوم أهل السنة إذا استخدم مقابلا للشيعة، وأخرجهم منه إذا ضُيّق معناه، وجعلهم من أهل القبلة فقط[5]. واتفق سامي النشار وأحمد أمين على أن الأشعرية التحقت بجماعة السنة، بعد انتساب إمامها إلى أحمد بن حنبل[6]. أما ناصر عبد الكريم العقل فيعتقد أن مصطلح أهل السنة والجماعة، لا يصدق إلا على أصحاب

---

[1] ابن عساكر: المصدر السابق-هامش، ص:319

[2] مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب-القاهرة-دار القلم-1961/ ص:269

[3] محمود صبحي: في علم الكلام-الأشاعرة-ط5-بيروت-دار النهضة العربية-1985-ج2،ص:17

[4] علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام-دار الجامعات المصرية-1974-ص:223

[5] سفر عبد الرحمن الحوالي: المرجع السابق، ص:16

[6] النشار سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام-ط3-مصر-دار المعارف- ج489/1، وأحمد أمين ظهر الإسلام ط3-مكتبة النهضة مصر-1964-94/4

الحديث، لأنهم هم الذين كانوا على نهج النبي(ﷺ) وأصحابه[1]. أما إذا رجعنا إلى التاريخ، فنجده يشهد أن أهل السنة، هم جماعة المسلمين منذ صدر الإسلام، مقابل المنشقين عنها من الخوارج، والشيعة، والمعتزلة. كما أن الحنابلة وأصحاب الحديث، كانوا قطب الطائفة السنية ببغداد، منذ أيام الإمام أحمد بن حنبل إلى القرن الخامس الهجري/11م[2]. أما الأشاعرة، فهم جماعة متأخرة، انتسبت إلى أهل السنة، ووجدت مقاومة عنيفة من الحنابلة، الأمر الذي أثر سلبا على وحدة أهل السنة ببغداد، وأضعف من قوتهم في علاقاتهم مع طوائف مدينة السلام ومع الدولة العباسية وتأثيرهم فيها.

---

[1] ناصر عبد الكريم العقل: مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة-ص:6

[2] عن ذلك انظر الفصل الرابع.

-الفصل الاول-

دور أهل السنة
في الدولة العباسية ببغداد

(200–500 هـ /815–1106م)

موقف أهل السنة من الخلافة العباسية:

أقام العباسيون دولتهم بقوة السلاح، على أنقاض الدولة الأموية، سنة 132 هـ ثم فرضوها على جماهير المسلمين، الذين لم يكن لهم في قيامها اختيار. فما هو موقف أهل السنة من شرعية الخلافة العباسية؟ ذكر ابن تيمية، أن خلافة النبوة واجبة على المسلمين لأن النبي(ﷺ) أمر وحضّ على لزوم سنة الخلفاء الراشدين، وحث على الاستمساك بها، وحذّر من المحدثات المخالفة لها[1]. في قوله: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي وأحمد والترميذي. لكن أهل السنة رغم اعتقادهم أن الإمامة الكبرى تثبت بإجماع الأمة، أو بيعة أهل الحل والعقد، فإنهم أجازوا إمامة المتغلب، الذي اجتمعت عليه الكلمة، وأوجبوا طاعته بالمعروف ومناصحته، وحرّموا الخروج عليه إلا إذا ظهر منه كفر بواح فيه من الله برهان[2]. ولمحمود الخالدي رأي مخالف لهؤلاء، مفاده أن المستولي على الخلافة بالقوة، لا تنعقد خلافته، لأن عمله منكر مخالف للطريقة الشرعية في منصب الإمام، ومن ثم فهو ليس خليفة، إنما حاكما[3].

ويتبين مما سبق أن أهل السنة، يقرون بشرعية الخلافة العباسية، حتى وأن قامت على القهر والغلبة ومما سهل اعترافهم بها، اعتقادهم أن الإمامة في

---

[1] ابن تيمية: الخلافة والملك-ص:28

[2] انظر: ناصر عبد الكريم العقل: مجمل اعتقاد السلف، ص:25، محمد رشيد رضا-الخلافة-موفم للنشر-1992-ص:37 وما بعدها

[3] البيعة في الفكر السياسي الإسلامي- الجزائر- شركة الشهاب-1989-ص:172-173

قريش[1]. وبما أن العباسين، قريشيون فخلافاتهم شرعية. الأمر الذي جعل كثير من أهل السنة، يحرمون الخروج على الخليفة الجائر إلا إذا ظهر منه كفر بواح، فيه من الله برهان. فعندما استشار علماء بغداد الإمام أحمد بن حنبل(ت241 هـ) في الثورة على الواثق با لله(227–232 هـ /842–847م). الذي فرض على سكان بغداد القول بخلق القرآن أجابهم بقوله: «عليكم بالنكرة في قلوبكم، ولا تخلعوا أبدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين. وقال للشرطة التي حاصرت بيته، وفتشته لما شاع أنه يأوي علويا في منزله–"..واني لأرى طاعة أمير المؤمنين –المتوكل– في السر والعلانية، وفي عسري ويسري، ومنشطي، ومكرهي وأوثره عليّ. وأني لأدعوا الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار"[2]. وقد اتهم زاهد الكوثري، الإمام أحمد– بناء على موقفه السابق– بالتعمد في عدم رواية أحاديث الثورة على الحكام الجائرين[3]. وذهب مصطفى الشكعة إلى القول بأن أحمد بن حنبل كانت ميوله عباسية في مذهبه السياسي[4]. ومما يؤيد ذلك، أن الإمام أحمد مدح العباسين بقوله: «ولد العباس، أقوم بالصلاة، وأشد تعهدا للصلاة من غيرهم"[5]. لكن حقيقة الأمر أن أحمد بن حنبل، لم يمنعه من الخروج على الخلفاء الجائرين، إلا قلة إمكانياته، وخوفه من العواقب الوخيمة التي قد

---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة–ج1ص:26

[2] المصدر السابق–ج1ص:337–338

[3] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري– مقدمة المحقق ص:17

[4] مصطفى الشكعة: الأئمة الأربعة–ط1، القاهرة–بيروت– دار الكتاب المصري–دار الكتاب اللبناني–1979–ص:192

[5] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة–ج1ص:144

تتجر عنه، وليس حبه لهم، وركنوه إليهم فقد عبّر عن موقفه صراحة حين قال عنهم: "من دعا منهم إلى بدعة فلا تجيبوه.... وأن قدرتم على خلعه فاخلعوه"[1]. كما أنه لم ينكر على أحمد بن نصر الخزاعي(ت231 هـ /845م)، عندما كفّر الواثق وثار عليه، بل أثنى عليه حين جاد بنفسه في سبيل الله، واعترف له بالصبر على ما لم يصبر هو عليه[2].

ومنع القاضي أبو يعلى الفراء(ت 458 هـ /1065م)، الثورة على الإمام إلا إذا كفر بعد إيمانه أما إذا فسق وارتكب الكبائر فلا خروج عليه[3]، خلافا للمعتزلة والأشاعرة والشيعة الذين يرون الثورة عليه في هذه الحالة[4]. حتى أنه عندما فقد الخلفاء هيبتهم ونفوذهم في دولة بني بويه(334-447 هـ /944-1055م) أفتى القاضيان الماوردى وأبو يعلى الفراء بأن ذلك لا يقدح في ولاية بني العباس، تبريرا لحالهم السيئ الذي آلو إليه وأعطيا لفتواهما صبغة شرعية[5].

ويذكر أن موقف أهل السنة يختلف عن موقف الخوارج والشيعة الذين لم يعترفوا بالعباسين، ولم يسالموهم وحملوا السلاح للإطاحة بهم فتصدى لهم الخلفاء بحزم وأخمدوا ثوراتهم بالعراق، والمدينة المنورة وخراسان[6].

ويبدو أن أهل السنة استقروا على موقفهم من عدم الخروج عل السلطان بعد قيام الدولة العباسية، لأن ذلك الموقف لم يكن عليه الصحابة والتابعون.

---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق- ج 2- ص: 305

[2] ابن كثير: البداية- ج10 ص: 306

[3] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق- ج2، ص: 283

[4] أبو يعلى الفراء: المعتمد في أصول الدين -بيروت- دار المشرق- ص: 243

[5] عبد القادر أبو فارس: القاضي أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية -بيروت- مؤسسة الرسالة- ص: 361

[6] عن ذلك انظر: ابن الأثير: الكامل ج6، ص: 95، 142، وابن كثير: البداية ج10، ص: 157، 245، 246

فالواقع التاريخي يشهد أن كثير من الصحابة وأهل الشام، لم يعترفوا بخلافة علي بن أبي طالب ووقفوا ضده في موقعتي الجمل، وصفين[1]. وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة بتوصية من أبيه عام (60 هـ /680م) ثار عليه عبد الله بن الزبير بمكة. وخرج الحسين بن علي إلى العراق لقتاله[2]. وخرج عليه أهل المدينة وقاتلوا جيشه في وقعة الحرة وفيها انتصر جيش يزيد الذي استباح المدينة ثلاثة أيام وقتل فيها كثيرا من الصحابة والفضلاء[3]. وبعد قيام الدولة العباسية: حمل سهل بن سلامة السلاح لمقاومة جيش الخليفة إبراهيم بن المهدي عام[4] (202 هـ /816م). وفي سنة (213 هـ /845م) عزم أحمد بن نصر الخزاعي على الخروج على الخليفة الواثق، وبايعه خلق كثير على ذلك سرا لكن الدولة أفشت خطته ونكلت به وبأصحابه[5].

ويرى محمد رشيد رضا أن سيئة الأمويين التي لا تغفر هدمهم لنظام الحكم في الإسلام القائم على الشورى والاختيار، واستيلائهم بالقوة. فأصبحوا بذلك قدوة لمن جاء بعدهم. وهذه المفسدة هي أصل المفاسد والرزايا التي أصابت المسلمين في دينهم ودنياهم[6].

ويعتقد ابن تيميه أن الثورة المسلحة على الخلفاء تحدث من الفساد ما يزيد عن ظلمهم لذلك لا يُزال المنكر بمنكر أكبر منه[7]. وما قرره ابن تيميه ليس

---

[1] انظر ابن كثير المصدر السابق- ج7، ص: 276-280

[2] عن عبد الله بن الزبير والحسين بن علي انظر: ابن كثير: المصدر السابق ج 8،ص:147 و159

[3] ابن كثير: المصدر السابق- ج 8، ص:220

[4] نفس المصدر -ج10، ص:248

[5] عن ذلك انظر: المصدر السابق -ج10، ص: 303 وما بعدها

[6] محمد رشيد رضا: الخلافة-ص:73, 75

[7] ابن تيمية: الخلافة والملك-ص:47

صحيحا على إطلاقة لأن السكوت عن الخلفاء، كيفما كانوا ومهما فعلوا وفي كل الظروف يدفع بهم إلى التمادي في الظلم ويُوصل إلى السلطة من لا يستحقها ويُورث في الأمة الذل والسلبية وربما كان للسكوت عن الخلفاء، وعدم الثورة عليهم من الضرر، ما يفوق الضرر الذي يترتب عن الخروج عليهم. ومن الحقائق المرة في التاريخ الإسلامي أن الخلافة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، عرفت خلفاء كثيرين انحرفوا عن الإسلام ولم تعرف إلا خمسة خلفاء راشدين. ولم تشهد الخلافة العباسية طيلة خمسة قرون خليفة راشدا واحدا حتى قال الخليفة المهتدي با لله، (255-256 هـ /869-970م)، "أما يستحي بنو العباس أن لا يوجد فيهم مثل عمر بن عبد العزيز"[1]. وقد قصّر المسلمون كثيرا عندما لم يعملوا على إرجاع حكم الإسلام كما بدأ، ورضوا بالتفرق والانقسام، والظلم والاستبداد[2].

و يُؤخذ على أهل السنة أنهم تخلّوا عن الأصل الذي قرروه في وجوب إقامة الخلافة الراشدة وتمسكوا بالاستثناء الذي اعترفوا به بدولة العباسيين التي قامت على الغلبة بحجة المصلحة ودفع الضرر فلو اجتهدوا في اختيار الظروف المناسبة لإصلاح النظام السياسي العباسي ببغداد، لحققوا الخير الكثير للدين والأمة لكنهم لم يفعلوا ذلك وانتدبوا أنفسهم لخدمته.

أهل السنة في خدمة العباسيين ببغداد:(200-500هـ/815-1106م)

اعتمد العباسيون في تسيير شؤون دولتهم على أهل السنة إعتمادا أساسيًا بعدما تبيّن لهم أن السنيين يوالونهم عكس الخوارج والشيعة الذين يناصبونهم العداء، وحملوا السلاح للإطاحة بهم.

[1] ابن الأثير: الكامل، ج6، ص:95، ج7/ص:233

[2] محمد رشيد رضا: الخلافة، ص:76

فمن المناصب التي تقلدها أهل السنة في دولة بني العباس، القضاء وقد احتكره الأحناف احتكاراً شبه تام منذ أن تولاه أبو يوسف يعقوب(ت182 هـ /798م) في عهد الخليفة الهادي(169-170 هـ /785-786م) وهو أول من تلقب بقاضي القضاة[1]. وأسند الخليفة المعتضد(279-289 هـ /892-902م) قضاء الجانب الشرقي من بغداد ليوسف بن يعقوب عام[2] (283 هـ /896م) ثم عينه قاضيا على كامل بغداد عام (284 هـ /897م) خلفا للقاضي أبي الشوارب المتوفى[3]. وتولى أبو جعفر التنوخي الحنفي(ت318 هـ /930م) القضاء في أيام الخليفة المقتدر(295-320 هـ /907-932م) فكان عدلا ثقة حازما حتى أنه منع أم المقتدر من نقض وقف أوقفته ثم أرادت الرجوع عنه فاستعانت بابنها الخليفة لكن أبا جعفر أصرّ على موقفه أو الاستقالة من منصبه فنزل الخليفة عند رأيه وطيب خاطر والدته فرضيت[4].

وفي القرن الخامس الهجري/11م، احتكرت عائلة الدامغاني الحنفية منصب قاضي القضاة أكثر من خمسين سنة. فقد تولاه أبو عبد الله الدامغاني(ت478 هـ /1085) عام(447 هـ /1055م) وبقي فيه ثلاثين عاماً مع حسن السيرة والأمانة والديانة[5]. ثم خلفه ابنه أبو الحسن بن الدامغاني(ت513 هـ /1119) في منصبه وعمره ستة وعشرون عاما ودامت فترة قضائه أربع وعشرين سنة مع الصيانة والعفة[6].

[1] ابن كثير: البداية ج10، ص:180
[2] نفس المصدر ج11، ص:73
[3] نفس المصدر ج11، ص:76
[4] نفس المصدر ج11، ص:156
[5] نفس المصدر ج12، ص:129
[6] نفس المصدر ج12، ص:185

ومن الأحناف الذين امتنعوا من تقلد القضاء أبو بكر الرازي(ت370 هـ /980م) رئيس الأحناف في زمانه إذ عرض عليه الخليفة الطائع(363-381 هـ /974-991م) ذلك المنصب فلم يقبله[1]. وعندما عين الخليفة القادر بالله شافعيا قاضيا للقضاة احتج الأحناف على ذلك، وحدثت بينهم وبين الشافعية فتنة تراجع على إثرها القادر بالله وأعاد المنصب للأحناف[2]. وحين استشار الخليفة القائم بأمر الله(422-467 هـ /1031-1075م) أبا منصور بن يوسف الحنبلي(ت460 هـ /1067م) فيمن يوليه القضاء، خلفا لابن ماكولا الشافعي(ت447 هـ /1055م) اقترح عليه أبا عبد الله الدامغاني الحنفي تجنبا لغضب الوزير عميد الملك الكندري(ت456 هـ /1063م) الشديد التعصب للأحناف[3].

وباحتكار الأحناف للقضاء، تمكنوا من بث نفوذهم في الدولة، ونشر مذهبهم في بغداد وخارجها كما أحيوا فقههم، وأغنوه بثروة فقهية غزيرة ومتنوعة بحكم احتكامهم إليه في أقضياتهم اليومية.

أما الشافعية فلم يتول منهم قضاء القضاة، إلا القليل بالمقارنة إلى الأحناف منهم عمر بن أكثم(ت352 هـ) تقلد القضاء أيام الخليفة المطيع لله(334-363 هـ /946-974م) وكان محمود السيرة[4]. وكذلك الحسن بن علي بن ماكولا(ت447 هـ /1055م) تولى قضاء القضاة ببغداد عام(420 هـ /1029م). وربما هو أول شافعي بقي في ذلك المنصب سبع وعشرين سنة وكانت سيرته حسنة

---

[1] نفس المصدر، ج11، ص:227.

[2] الصعيدي عبد المتعال: القضايا الكبرى في الإسلام، ط2، مصر، مكتبة الآداب، 1960، ص:305-306.

[3] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص:23.

[4] ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص:253.

لا يقبل من أحد هديه[1] ووجد منهم من رفض تولي القضاء كأبي علي بن خيزران (ت320 هـ /932م) فحين عرضه عليه الوزير علي بن عيسى امتنع فحبسه في بيته ست عشرة يوما لكنه بقي مصرا على موقفه ثم خلي سبيله وقال: إنما أردنا أن يعلم الناس أن في بلدنا ومملكتنا. من عُرض عليه قضاء قُضاة الدنيا فلم يقبل[2].

ويرجع السبب في قلة القضاة من الشافعية ببغداد إلى احتكار الأحناف للقضاء شبه التام له وتعصبهم على الشافعية.

أما المالكية فقد كانوا قلة ببغداد ورغم ذلك فتقلد منهم القضاء فقهاء، أعلام منهم إسماعيل بن إسحاق الأزدي المالكي(ت282 هـ /895م) عمل قاضيا في أيام المتوكل (232–247 هـ /847–861) ثم صار مقدما للقضاة[3]. وأبو عمر المالكي(ت321 هـ /933م). كان من أئمة الإسلام تولى القضاء ببغداد ثم جمع قضاء القضاة عام 317 هـ /929م) واشتهر بأحكامه السديدة من أصوبها، حكمه بقتل الحسين أبي منصور الحلاج سنة[4](309 هـ /921م). وامتنع أبو بكر الفقيه(ت375 هـ /985م) رئيس المالكية في زمانه، من تولى القضاء عندما عُرض عليه وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي فلم يقبل هو الآخر[5].

والحنابلة هم كذلك لم يكثروا من تولى القضاء بالمقارنة إلى الطوائف السنية الأخرى وإلى كثرتهم ببغداد لأنهم يمثلون غالبية سكانها[6]. وممن تقلده

---

[1] نفس المصدر ج12، ص:67

[2] ابن كثير: البداية ج11، ص:171

[3] نفس المصدر ج11، ص:172

[4] نفسه ج11، ص:172

[5] نفس المصدر ج11، ص:305

[6] ابن الجوزي: المنتظم ج8، ص:312

منهم: الموقر الحنبلي(ت437 هـ /1045م) عمل قاضيا على نحو أربعة آلاف غلام ببغداد وكان يقضي بينهم بمذهب الإمام أحمد بن حنبل[1].

ويُعد أبو يعلي الفراء(ت458 هـ /1065م). أشهر من تقلّد القضاء من الحنابلة على شروط وافق عليها الخليفة منها عدم الحضور في أوقات المواكب والاستقبالات، والإعفاء من المجيء إلى دار السلطان[2]. والانتقال إلى باب الأزج[3]، ونهر المعلى[4]، يوما واحداً في كل شهر مع تعيين من ينوبه في دار الحريم[5]. وبذلك ابتعد أبو يعلى عن مجالس السلطة، واحتفالاتها التي قد تصاحبها أفعال ينكرها الشرع، ووفّر لنفسه أوقاتا يتفرغ فيها لعلمه وعمله وعبادته. وعيّن أبو يعلى تلميذه يعقوب البرزيني(ت486 هـ /1093م) قاضيا على باب الأزج[6]. وجعل الحسن السيبي نائبه على دار الحريم ونهر المعلى[7]. واختار عبد الله ابن جلبة(ت476 هـ /1083م) قاضيا على بلده حران[8]. فساهم بذلك أبو يعلى في نشر مذهب الإمام أحمد في بغداد وخارجها.

ويرى ابن عقيل(513 هـ /1119م)، أن الحنابلة هم الذين ظلموا مذهبهم بابتعادهم عن القضاء وميلهم إلى الزهد عكس الأحناف والشوافع الذين طلبوا

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة-ج2، ص:189
[2] نفس المصدر-ج2، ص:199
[3] هي محلة كبيرة تقع بالجانب الشرقي ببغداد سكانها حنابلة-ياقوت الحموي: معجم البلدان-بيروت- دار صادر-1968-ج1، ص:168
[4] يقع وسط الجانب الشرقي من بغداد- أحمد سوسة: خارطة بغداد- العراق- مطبعة المجمع العلمي العراقي-1959-ص:73
[5] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة-ج2،ص:199
[6] ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة-ج1،ص:92-93
[7] أبو الحسن بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة-ج2،ص:199
[8] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب-مج2،ج3،ص:30

القضاء والولايات لينشروا فقههم[1]. وربما كان أبو الوفاء بن عقيل، هو الحنبلي الوحيد الذي تولى منصب قاضي القضاة[2] إذ لم أعثر على غيره من الحنابلة من تقلده طيلة ثلاثة قرون.

أما عن الوزارة بدولة بني العباسي في بغداد، فقد تولاها سنيون كثيرون منهم حامد بن العباس(ت311 هـ /923م)، استوزره الخليفة المقتدر عام(306 هـ /918م) اشتهر بالبذل والسخاء وتخزين الأموال وكان من بين الساعين في قتل الحلاج أيام وزارته[3]. وعلي بن عيسى الجراح(ت335 هـ /946م) وزر للمقتدر والقاهر كان ثقة، نبيلا، فاضلا مفعالا للخير كثير التلاوة والصيام والصلاة يحب أهل العلم ومداوما على مجالسهم وهو من أكبر الساعين في قتل أبي منصور الحلاج[4]. وحاول إصلاح ذات البين بين الحنابلة والطبري، فطلب الطرفين إلى بيته فحضر الطبري وغاب الحنابلة فلم يوفق في مسعاه[5]. وكانت علاقته بالحنابلة سيئة وذلك أنه أمر بهدم مسجد لهم ببغداد، اتخذوه منطلقا لنشاطهم[6].

ومن وزراء عهد بني بويه(334-447 هـ /946-1055م)، أبو الفضل الشيرازي تولى الوزارة، في أيام الخليفة المطيع لله(334-363 هـ /946-974م) عرف بتعصبه لأهل السنة وشدته على الشيعة ففي عام (362 هـ /972م) كان

---

[1] ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد-ص:505

[2] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق-ج2، ص:259

[3] المسعودي: مروج الذهب-ج4، ص:372،

[4] ابن كثير: البداية-ج11، ص:149

[5] نفس المصدر-ج11، ص:217

[6] ابن الجوزي: المنتظم-ج6، ص:159

[7] عن ذلك انظر الفصل الرابع

سببا في إحراق حيهم الرئيسي الكرخ. فعزله معز الدولة البويهي، وعوّضه بمحمد بن بقية فتعجّب الناس من فعله وذلك أن هذا الرجل كان وضيعا يقدم الطعام لمعز الدولة فإذا به يصبح وزيرا، وفي أيامه فسدت أوضاع البلد وكثُر العيارون وكان أشد ظلما للرعية من الذي سبقه[1]. ومنهم كذلك عميد الجيوش الحسن بن أبي جعفر(ت401 هـ /1010م) تقلّد الوزارة أيام الخليفة القادر بالله عام(392 هـ /1001م) استوزره بهاء الدولة البويهي فأمّن البلاد وأخاف العيارين ومنع الشيعة من النياحة يوم عاشوراء واحياء غدير خم[2].

ومن وزراء عهد السلاجقة بين عامي(447-500 هـ /1055-1106م) أبو القاسم ابن المسلمة(ت450 هـ /1058م) تولى الوزارة في أيام الخليفة القائم بأمر الله ومكث بها اثنتي عشرة سنة وكان متضلعا في علوم كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل وعُرف بحبه لأهل السنة وببغضه الشديد للشيعة، وانتقم منهم مرارا وأمر بقتل شيخهم ابن الجلاب لغلوه في الرفض[3]. وهم بدورهم ثأروا لأنفسهم منه عندما احتل القائد التركي البساسيري بغداد وألقى عليه القبض[4]. وكذلك أبو شجاع ظهير الدين(ت488 هـ /1095م) تقلد الوزارة أيام الخليفة المقتدي وهو من خيار وزراء بني العباس اشتهر بكثرة صدقاته واحسانه إلى الرعية والعلماء، أنفق أموالا طائلة في فعل الخيرات ووقف الوقوف الحسنة وكان مجلسه بالديوان لا يخلو من الفقهاء يسألهم فيما أشكل عليه من قضايا

---

[1] ابن كثير: البداية-ج11، ص:273

[2] نفس المصدر-ج11،ص:345 وعن يوم عاشوراء وغدير خم عند الشيعة أنظر الفصل الثالث

[3] نفس المصدر-ج12، ص:68-69

[4] نفس المصدر-ج12، ص:78-79

الرعية[1]. وعندما أصيب بالوسوسة، كتب إليه أبو الوفاء بن عقيل رسالة دلّه فيها أن الحيطة مطلوبة غير أن لها حدودا، لا تتجاوز وذكر له أمثلة من أفعال الرسول(ﷺ) بيّن له بها مقصده[2].

وكان خلفاء بغداد أيام عزّهم وقوتهم هم الذين يعينون وزراءهم[3]. فلما ضعفوا وسيطر عليهم بنو بويه والسلاجقة سحبوا منهم ذلك وتولوا مهمة اختيار الوزراء وعزلهم[4]. ومن اللافت للانتباه أن الحنابلة لم يتولوا منصب الوزارة ببغداد بين عامي(200–500 هـ /815–1106م)[5] والذين تقلدوه هم من الطوائف البلد الأخرى: كالشافعية والأحناف وإن وجد من الوزراء من مال إليهم وأيدهم على خصومهم[6]. وربما ابتعدوا عنه تأسيا بإمامهم أحمد بن حنبل الذي اعتزل السلطة[7].

وفي مجال البعثات الرسمية خارج بغداد كثيرا ما اعتمد الخلفاء على أهل السنة للقيام بتلك المهمة. وتعد أسرة التميميين الحنبلية[8]، أشهر من تولى

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق– ج12، ص: 151

[2] ابن الجوزي: المنتظم– ج9، ص:92-93

[3] المسعودي: مروج الذهب– ج4، ص:103و381

[4] ابن كثير: المصدر السابق– ج11، ص:345، وج12، ص:119 وابن خلدون: كتاب العبر– ج3، القسم5، ص:985

[5] وجد الحنابلة من تولى الوزارة في القرن السادس الهجري كابن هبيرة(انظر ابن كثير: البداية– ج12، ص:250-251)

[6] انظر ابن الأثير: الكامل– ج8، ص:59

[7] انظر ابن كثير: المصدر– السابق– ج10، ص:339 وابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد– ص:379

[8] نسبة لعبد العزيز بن الحارث التميمي(ت371هـ/981م) وكان له ولدان: عبد الوهاب(ت415هـ) وعبد الواحد (ت410هـ) وفي القرن 5هـ اشتهر من الأسرة: أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب(ت488هـ)– أبو الحسين بن أبي يعلى– طبقات الحنابلة– ج2/188.

ذلك من السنيين ومن أفرادها عبد الواحد بن عبد العزيز(ت410 هـ /1019م)، أرسله الخليفة القادر بالله إلى خراسان في مهام عديدة[1]. وأبو محمد رزق الله (ت488 هـ /1095م) كان له جاه لدى العامة والخاصة خرج في بعثة إلى أصبهان وحدث بها[2]. وأرسله المقتدي بأمر الله(467-487 هـ /1075-1094م)، إلى سمرقند حاملا رسالة إلى السلطان السلجوقي ملكشاه واسمع أهلها كتاب الناسخ والمنسوخ[3]. وفي عام (453 هـ /1061م) بعثه القائم بأمر الله مع أبي منصور بن يوسف الحنبلي، وأبي عبد الله الدامغاني الحنفي للوساطة بينه وبين السلطان طغرلبك في قضية زواج ابنته[4] وأرسله المقتدى بأمر الله عام(482 هـ /1089م) إلى السلطان ملكشاه لتعزيته في موت ابنته الخاتون، مع زميل له، لكنه انقلب عائدا إلى بغداد لما وصل أصبهان فلم يرض الخليفة بعودته بدون إذنه ولا يُعرف سبب رجوعه أما رفيقه فواصل السير في مهمته[5].

وكان لمحمد رزق الله ولدان: عبد الواحد، وعبد الوهاب، اشتهرا بالوعظ ومارسا مهنة أبيهما فالأول أخذ الرسائل من ديوان الخلافة إلى الأقاليم في أيام الخليفة المستظهر[6](487 هـ -512 هـ /1094-1118م) والثاني خرج رسولا إلى بعض ملوك السلاجقة بأصبهان[7].

---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى- طبقات الحنابلة -ج2، ص:179

[2] نفس المصدر -ج2، ص:250

[3] ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة-ج1، ص:100

[4] ابن الجوزي: المنتظم- ج8، ص:218 وما بعدها

[5] نفس المصدر- ج8، ص:87

[6] ابن النجار- ذيل تاريخ بغداد- بيروت- دار الكتاب العربي- بدون تاريخ ج15، ص:333

[7] نفس المصدر- ج15،ص:334

وسافر محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي إلى بلاد المغرب ونزل بالقيروان داعية لبني العباس فاستجيب له ووقعت بسببه فتنة لم يذكر صلاح الدين الصفدي أسبابها وتفاصيلها[1]. فانتقل محمد التميمي إلى الأندلس واستوطن طليطلة حتى توفي بها عام (455 هـ /1063م)[2]. ويبدو أنه حل بالمغرب لتحريض أهله على الفاطميين كما أنه ربما دخل الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية هناك عام(422 هـ /1030) إذ يُستبعد أن يحسن إليه حكام البلد الأمويين وهو مبعوث خصومهم العباسيين إلا إذا كان أخفى أمره أو تخلى عن دعايته للدولة العباسية. ويلاحظ على الأسرة التميمية أنها لم تلتزم بنهج الإمام أحمد في اعتزال الخلفاء[3]، وإنما اقتربت منهم وانتدبت نفسها لخدمتهم، وبالأخص في أيام الخليفتين القادر با لله والقائم بأمر الله، اللذين كانا قريبين من الحنابلة وأهل الحديث[4].

وفي عام (423 هـ /1031م) أرسل الخليفة القائم وفدا إلى الملك البويهي كاليجار على رأسه القاضي أبي الحسن الماوردي وهناك طلب الملك من القضاة تلقيبه بالسلطان الأعظم مالك الأمم فقال الماوردي: "هذا ما لا سبيل إليه لأن السلطان المعظم هو الخليفة وكذلك مالك الأمم". ثم اتفق القضاة على تلقيبه بملك الدولة وأرسل كاليجار مع الماوردي هدايا وتحفا ثمينة[5].

---

[1] انفرد بها عن غيره من المؤرخين الذين اطلعت على مؤلفاتهم

[2] صلاح الدين الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، حققه س. ديدرينغ، دمشق، الطبعة الثانية، 1959، ج4، ص: 70-71

[3] نفس المصدر، ج4، ص: 71

[4] انظر: ابن كثير: البداية، ج10، ص: 329

[5] نفس المصدر، ج12، ص: 33

ويتبين من قيام أهل السنة بمهمة البعثات الرسمية خارج بغداد أنهم نالوا ثقة الخلفاء، وكانوا محل أسرارهم واطلعوا على ما يجري في الأقاليم وساهموا في إستتباب الأمن واستمرار الدولة العباسية كما أنهم استغلوا تلك البعثات لنشر العلم وخدمة مذهب أهل السنة لكن تفانيهم في العمل وإخلاصهم للعباسيين لم ينسيهم واجب النصح لهم، وإنكار عليهم أفعالهم المخالفة للشرع.

نصح أهل السنة للخلفاء والإنكار عليهم:

اعتزل الإمام أحمد بن حنبل خلفاء بغداد لكنه لم يبخل على المتوكل(232-247 هـ /847-861م) بنصائحه وتوجيهاته والرد على أسئلته، فسأله مرة عن قضية خلق القرآن - بعد رفع المحنة - استرشاداً لا امتحانا، فكتب له في ذلك رسالة شافية[1]. واستشاره فيمن يولى القضاء خلفا للمعتزلي أحمد بن أبي دُؤاد فأشار عليه بيحي بن أكثم[2]. وحين أقدم أبو الحسن النورى على إتلاف خمر كان محمولا إلى المعتضد(279-289هـ/892-902م) أخذته الشرطة إليه وهنالك سأله الخليفة عن من ولاّه الحسبة، فأجابه: الذي ولاّك الخلافة وما زال معه يذكّره، حتى عفا عنه وخرج من عنده سالما مكرما[3]. وعندما تقدّم الخليفة المطيع لله(334-363هـ/946-974م) بمال خصّصه لإقامة بناء كبير على قبر الإمام أحمد بن حنبل، اعترض عليه عبد العزيز بن الحارث التميمي(ت371هـ/981م) وبيّن له أن هذا يتنافى مع مذهب أحمد، ثم

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق- ج12، ص:340

[2] نفس المصدر- ج10، ص:316

[3] نفس المصدر- ج 11،ص:89

حثه على التصدق بالمال[1]. وهذا يدل على مدى حرص الحنابلة على التمسك بالأثر، وعدم مسايرة طوائف بغداد الأخرى التي تنافست في تشييد الأضرحة.

وعندما منع عضد الدولة البويهي(367-373هـ/978-982م)، القصاص من التحدث إلى العامة لما أحدثوه من فتن بين السنة والشيعة، لم يستجب له ابن سمعون(ت387هـ/997م) وواصل وعظه للناس بجامع المنصور، فأخذته الشرطة، وأدخلته عليه، وهو يتلو قوله تعالى: «ثم جعلناكم خلائف في الأرض، من بعدهم، لننظر كيف تعملون" سورة يونس رقم 14. ثم ابتدره بالنصح والتذكير حتى أبكاه، فعفا عنه وأكرمه[2]. وكان أبو الوفاء بن عقيل (ت513هـ/1119)، أكثر أهل السنة انتقاداً لرجال الدولة والنصح لهم. فلما أصيب الوزير أبو شجاع(ت499هـ/1095م) بالوسوسة كتب له ابن عقيل رسالة بيّن له فيها أن الحيطة مطلوبة شرعا، لكن لها حدوداً، واستدل له بأفعال النبي(ﷺ) في فرك المني واستخدام الماء في تطهير النجاسة لما بال أعرابي في المسجد[3].

وحين عزم الوزير شرف الملك، على إعادة بناء القبة التي على قبر أبي حنيفة ببغداد عام (453هـ/1061م) وهدم الأبنية والمسجد والقبور القريبة من الضريح وأخرج رفاه المدفونين في ذلك المكان أنكر عليه ابن عقيل فعلته، فلم يتقبل الوزير نصيحته، وشكاه إلى أبي منصور بن يوسف[4] الحنبلي، فاتصل به وقال له: " يا سيدي ما نعلم كيف حالنا مع هؤلاء الأعاجم والدولة لهم" فردّ

---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص:251

[2] نفس المصدر، ج2، ص:157

[3] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص:92، 93

[4] كان له نفوذ كبير على ابن عقيل لأنه كان يحسن إليه: ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص:212-213

عليه ابن عقيل: «رأيت منكرًا فاشيًا فنهيت عنه"[1]. وحين أنشأ الوزير عميد الدولة بن جهير(ت493هـ/1100م) سورا للحريم سنة(488هـ/1095م) وسمح للعوام، بالعمل والتفرج عليهن وأظهروا المنكرات والسخافات[2]. كتب إليه ابن عقيل رسالة تحذير واستنكار أخبره فيها بالمخالفات الشرعية المرتكبة، كالزنا وكشف عورات الرجال بحضور النساء[3]. ونبّهه إلى تناقضه في تطبيق الحدود فهو يقيم الحدّ على نبيذ مختلف فيه[4]، صباحا ومساء من جهة، والعامة تمرح في ارتكاب المحرمات المجمع على تحريمها، كالزنا ولبس الحرير من جهة أخرى[5]. ثم أغلظ له الكلام، وحذره إذا تعارض دين محمد(ﷺ) بدينه فلا وزن لدين ابن جهير، ثم خاطبه"... يا شرف الدين اتق الله فإن سخطه لا تقاومه سماء ولا أرض... ثم تلومنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام، لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي الاعظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة". ثم نبّهه إلى خطر الاغترار بمدح المادحين[6].

لقد أبدى ابن عقيل في خطابه للوزير، حرصا على تطبيق الشريعة الغراء وغيرة عليها وكان شديد اللهجة في انتقاده له، مجتهداً في إقامة الحجة عليه لتبيان تناقضه في سياسته الشرعية، وليظهر له عدم رضاه عما يحدث في دولته

[1] نفس المصدر-ج8، ص:245

[2] ابن كثير: البداية-ج12، ص:149

[3] ابن الجوزي: المصدر السابق-ج 9، ص:86

[4] اتفق الفقهاء على جواز الانتباذ في الأسقية غير المسكرة واختلفوا فيما سواها ولم يتفقوا في حكم انتباذ الخليطين كخلط التمر والزبيب ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد-بيروت- دار الفكر العربي-بدون تاريخ-ج1، ص:346-347

[5] ابن الجوزي: المنتظم-ج9، ص:86

[6] نفسه-ج9، ص:86

من منكرات وهو على علم بها من جهة ويؤدي واجب النصح والإرشاد لوجه الله من جهة أخرى. وقد بينت الرسالة مدى التردي الذي وصل إليه مجتمع بغداد ونوعية المنكرات التي انتشرت فيه.

وذكر ابن البنّاء الحنبلي(ت471هـ/1078م) في يومياته أنه كان ذات يوم بجامع الخليفة فسمع دويًا واستغاثة. ثم أخذت الأموال، وانتهكت الأعراض(عام 461هـ/1068م) فكتب إلى القائم بأمر الله مذكرة[1] أبلغه فيها استنكاره لما حدث وذكّره بمسئولياته أمام الله-عز وجل- ووصف خطابه إليه بأنه مناصحة ثم دعا له فيه بدوام دولته وتخليد ملكه وأورد له نصوصا من القرآن الكريم والسنة النبويّة وأخبارًا عن الصحابة تحذّر من عاقبة الظلم ثم ختم خطابه بقوله: "...ونرغب إلى الله الكريم في إطالة بقاء سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله، أمير المؤمنين أدام الله أيامه وخلّد ملكه وإعانة على مصالح الدين ومعونة المستورين وقمع الظالمين وأجاب فيه وفي مولانا الأمير السيد الأجل المؤيد المقتدى عدة الدين وعمدة الإسلام والمسلمين صالح دعوات الداعين وابتهالات المبتهلين بجوده وكرمه إن شاء الله"[2].

فابن البناء في رسالته إلى الخليفة تحدّث برفق وأناة وأشبعه فيها مدحا وتبجيلا ليدفعه إلى التصدي للبغاة. وإنصاف المظلومين ويحثه على تحمل مسؤولياته تجاه المجتمع على أكمل وجه. وانتقده فيها انتقاداً خفيا بيّن فيه

---

[1] توجد الرسالة في يوميات ابن البناء وقد نشرها جورج مقدسي في مجلة إنجليزية تحت عنوان:
Autograph Diary of An Eleventh Century Histori an of Baghdad-Bulletin of the School of oriental and African Studies-university of London- XVIII-1956-XIX-1957.

[2] IBID - 2eme partie -Vol: XIX-1957-p:285-288

عجز الخليفة علي توفير الأمن لرعيته وأراد أن يقول له: أين دورك في حماية المجتمع؟ وأين الخلافة وعيونها؟.

ولم يقتصر دور أهل السنة على الإرشاد والتوجيه، والإنكار على رجال الدولة وإنما امتدَّ إلى حثهم على الغزو وحمل السلاح لصد الأعداء، من ذلك أن أبا محمد البربهاري(ت329هـ/940م) عندما قتل القرامطة[1] حُجاج بغداد وأخذوا أموالهم عام (312هـ/924م) أثناء عودتهم من البيت الحرام أعلن جهاراً أنه على استعداد لجمع مائة ألف دينار من الناس لمساعدة الخليفة المقتدر(295-320هـ/907-932م) لحرب القرامطة[2]. ليشعره باستنكار العامة لما حدث ويحرّضه على مقاومة هؤلاء، ويذكّره كذلك بأن أهل بغداد بجانبه وفي امكانهم مساندته بالمال إذا كان في حاجة إليه.

وعندما اشتدت الفتن بين السنة والشيعة، واستغل الروم ذلك الظرف ودخلوا أراضي الخلافة وعاثوا فيها فساداً، تقدّمت جماعة من أهل السنة منهم أبو بكر الرازي الحنفي وابن الدقاق الحنبلي إلى عز الدولة باختيار بن بويه وحرّضوه على غزو الروم فبعث جيشا لقتالهم عام(362هـ/972م) وكان النصر حليفه[3]. وحين استولى الفرنجة على القدس عام(492هـ/1098م) استنجد الخليفة المستظهر با لله (487-512هـ/1094-1118م) بأعيان أهل السنة من قضاه وفقهاء وأنتدبهم إلى الاتصال بحكام الولايات ليحرضوهم على الجهاد فخرج أبو الوفاء بن عقيل وغيره من الأعيان إلى الأقاليم داعيا إلى حمل السلاح

---

[1] نسبة لقرمط بن الأشعث وهم شيعة باطنية يُظهرون التشيع ويبطنون عقائد الفرس. أنظر: ابن كثير: البداية-ج11، ص:261-262

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء-ج15، ص:91

[3] ابن كثير: المصدر السابق-ج12، ص:273

لتحرير القدس من الصليبيين لكن ما بذله هؤلاء لم يسفر على أية نتيجة ملموسة لصد النصارى وإبعادهم عن بيت المقدس[1].

ويتضح مما سبق أن السنيين اجتهدوا في نصح الخلفاء وتذكيرهم بمسؤولياتهم تجاه الله -عز وجل- والمجتمع وحثوهم على المبادرة لفعل الخيرات والتصدي للبغاة ولم يسكتوا عن منكراتهم وعبروا عن رفضهم لها بوسائل سلمية في غالب الأحيان.

معارضة أهل السنة للدولة العباسية ببغداد:(200-500هـ/815-1106م)

تعتبر الطائفة السنية أكثر طوائف البلد ولاء للعباسين وإخلاصا لهم لكن بعض الخلفاء كانوا سببا في توتر العلاقات بين الطرفين. الأمر الذي دفع السنيين إلى معارضتهم، من ذلك أن سهل بن سلامة كون جماعة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ببغداد عام (202هـ/817م) دعت إلى الالتزام بالكتاب والسنة فالتف حولها خلق كثير وتصدت للفساق والعيارين ثم أنكرت على الخليفة إبراهيم بن المهدي ما يحدث في البلد من منكرات ودخلت مع جنده في قتال انتهى بانكسار شوكتها وتفرق أتباعها[2].

ويؤخذ على الجماعة قلة انضباطها ومبالغتها في الإنكار على الناس وابتعادها عن الحكمة في قيامها بالحسبة، فزعيمها جعل من نفسه ندا للسلطان في الجند وأبهه الملك[3]، الأمر الذي ألب عليه الخليفة ورجال دولته. وعندما أظهر المأمون تفضيل علي بن أبي طالب على كل الصحابة[4]، وأمر بلعن

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:156

[2] ابن كثير: البداية – ج10، ص:248

[3] انظر: نفسه – ج10، ص:248

[4] نفس المصدر: ج10، ص:177

معاوية بن أبي سفيان من على المنابر[1]، تضجّر أهل السنة وألّبوا عليه العامة فتراجع عن موقفه[2]. وهذا تحد صارخ لشاعر السنيين وما أقدم عليه المأمون يتناقض تماما مع ما هو متواتر عن علي بن أبي طالب (ﷺ) الذي كان يقول: «لا أوتي بأحد فضّلني على أبي بكر، وعمر إلا جلدته جلد المفتري" ويقول كذلك: «خير الناس بعد النبي(ﷺ) أبو بكر ثم عمر[3]".

وواصل المأمون المعتزلي المتشيع استفزازه لأهل السنة فبعد ٦ سنوات امتحنهم بفكرة خلق القرآن[4]. فجمع الفقهاء وأصحاب الحديث عام(218هـ/833م) ودعاهم إلى القول بخلق القرآن لكن أئمة أهل السنة رفضوا إجابته، منهم: نوح بن ميمون، ونعيم بن حماد، وأحمد بن حنبل الذي قال: «القرآن كلام الله لا أزيد عليها[5]". ولما سئل عن قوله تعالى: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" سورة الشورى الآية رقم ١١ أجاب: «أردت منها ما أراده الله منها وهو كما وصف نفسه لا أزيد على ذلك[6]". وبعد وفاة المأمون سار المعتصم (218-227هـ/833-841م) على نهجه في امتحان الناس بخلق القرآن، فسجن الإمام أحمد ثلاثين شهرا ثم استدعاه للمناظرة عام(221هـ/835م) فرفض أحمد بن حنبل القول بخلق القرآن وأصر على أن "القرآن علم الله، وعلم الله غير مخلوق"، فتدخل كبير المعتزلة، أحمد بن أبي دُؤاد (ت240هـ/854م)،

---

[1] المسعودي: مروج الذهب- الجزائر- موفم للنشر- سلسلة الأنيس-1990-ج4، ص: 48

[2] نفسه-ج4، ص:48

[3] ابن كثير: المصدر السابق-ج10، ص:277

[4] أخذها المأمون عن المعتزلة وهم بدورهم أخذوها عن الجعد بن درهم(ت124هـ/741م) وهو أول من أذاع فكرة خلق القرآن وكان قد تلقاها عن اليهود (ابن كثير: المصدر السابق-ج10، ص:267)

[5] الطبري: تاريخ الأمم والملوك -القاهرة- مطبعة الاستقامة-1939-ج6، ص:444

[6] ابن كثير: المصدر السابق-ج10، ص:273

وأوغر صدر المعتصم، ثم قال عن أحمد: "هو والله يا أمير المؤمنين، ضال، مضل، مبتدع". فغضب الخليفة وأمر بتعذيب الإمام أحمد حتى أغمي عليه ثم أُخذ إلى بيته[1]. فلزمه طيلة حكم المعتصم، والواثق (227-232هـ/842-847م) فلم يخرج منه لا إلى الجمعة ولا إلى الصلوات الخمس بالمسجد[2]، ولعل الدولة هي التي ألزمته منزله وإلا ما ترك حضور الصلوات بالمسجد.

ويتبين من ذلك أن الإمام أحمد قد اتخذ موقفا نهائيا من مسألة خلق القرآن، ولعله درسها ومحّصها، وعرضها على نصوص القرآن والسنة لذلك ناقش المعتصم واحتج عليه بأدلة نصر بها مذهبه، وكفّر كل من قال بخلق القرآن صراحة[3]. في حين لم يفعل ذلك عندما امتحنه المأمون عام (218هـ/833م) واكتفى بقوله: "القرآن كلام الله لا أزيد عليها".

وذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد لم يقل أن القرآن قديم، غير أن أناسا فهموا بما أنه ليس مخلوقا فهو قديم[4]. وأشار أبو زهرة إلى أن تلك الرواية كذب عن أحمد انتشرت عنه في القرن الرابع الهجري/١٠م[5]. وانتقد أبو علي الشوكاني من جعل مسألة خلق القرآن من أعظم مسائل الدين وهي في الحقيقة من فضول العلم صان الله بها الصحابة والتابعين[6]. وما قاله الشوكاني صحيح لكن هذه القضية، فرضت نفسها على أئمة أهل السنة ولم ينفع معها الإمساك

---

[1] نفس المصدر - ج10، ص:333

[2] نفس المصدر - ج10، ص:337

[3] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة - ج1، ص:96

[4] ابن تيمية: مجموع الفتاوى - ج64 ص:313

[5] أبو زهرة: ابن حنبل - ص:142

[6] أبو غدة عبد الفتاح: مسألة خلق القرآن وأثرها في الرواة - بيروت - مكتبة المطبوعات الإسلامية - بدون تاريخ - ص:10

عن الخوض فيها، لأن تيارها كان جارفا الأمر الذي دفعهم إلى اتخاذ موقف شرعي منها.

ولم تتوقف المعارضة السنية باعتزال أحمد بن حنبل للمجتمع بل استمرت في أيام الواثق (227–232هـ/841–847م) الداعي إلى القول بخلق القرآن ليلا ونهارا، سرا وجهارا فبرز أحمد بن نصر الخزاعي على رأس المنكرين عليه فالتف حوله خلق كثير بايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على الخليفة، لبدعته في خلق القرآن ولما هو عليه وحاشيته من المعاصي والفواحش[1].

لكن الشرطة اكتشفت أمره وقبضت عليه وأرسلته مع كبار أصحابه إلى الواثق فلم يسأله عن الخروج عليه وإنما سأله عن القرآن ورؤية الله – عز وجل – يوم القيامة، فأجاب أحمد بن نصر أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله – عز وجل – يرى يوم القيامة واحتج عليه بنصوص شرعية لكن الخليفة لم يقتنع بذلك ثم التفت إلى حاشيته ليأخذ رأي الحاضرين فقال كبير المعتزلة أحمد بن دُؤاد عن أحمد بن نصر: «هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل يا أمير المؤمنين" فنهض إليه الواثق وطعنه بالسيف ثم جز رأسه وأمر بتعليق رأسه بالجانب الشرقي من بغداد أما أصحاب ابن نصر عددهم 29 رجلا فسماهم الظلمة وقيدهم بالحديد وأودعهم السجون في ظروف قاسية[2].

والذي حدث لأحمد بن نصر فيه ظلم كبير من رجل يدعى أنه أمير المؤمنين يريد من فعلته تلك وجه الله[3]. وقد كان ابن نصر من كبار علماء أهل

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق – ج10، ص: 303
[2] ابن كثير: البداية – ج10، ص: 305
[3] أنظر: نفسه – ج10، ص: 305

السنة وساداتهم العاملين أثنى عليه أعلام كثيرون فقال فيه أحمد بن حنبل: "رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله لقد جاد بنفسه له"[1].

وعندما جاء المتوكل إلى السلطة (232–247هـ/847–861م) وضع حدا لفتنة خلق القرآن عام (237هـ/851م) وأمر بإنزال رأس أحمد بن نصر الخزاعي، والكف عن الخوض في الكلام وحث على الاشتغال بالسنة النبوية دون سواها وقرب إليه أحمد بن حنبل وأكرمه وانتقم من المعتزلة[2].

لذلك أحب السنيون المتوكل وشبهه بعضهم بأبي بكر الصديق في قتل المرتدين وبعمر بن عبد العزيز في رد مظالم بني أمية[3] بخلاف أخيه الواثق وولده المعتصم وعمه المأمون الذين أساءوا إلى أهل السنة وقربوا إليهم المعتزلة والشيعة[4]. وقد دامت محنتهم تسعة عشر عاماً وفيها مرّت بهم ظروف مليئة بالخوف والقلق ومات فيها من أعيانهم نوح بن ميمون الجندي سابوري في طريقه إلى المأمون ليمتحنه، ونعيم بن حماد الخزاعي وأبو يعقوب البُوَيطي ماتا داخل السجن، وأحمد بن نصر الخزاعي قتله الواثق شرّ قتلة[5]. لكنهم خرجوا من المحنة منتصرين أكثر قوة، وعزماً، وتماسكاً.

وعندما أمر الخليفة القاهر بالله (320–322هـ/932–934م) بلعن معاوية بن أبي سفيان عام (321هـ/933م) أعلن رئيس الحنابلة، أبو محمد البربهاري وأصحابه معارضتهم له وألبوا عليه الناس. فتدخّلت الشرطة وقبضت على

[1] نفسه-ج10، ص: 305

[2] نفس المصدر- ج 10، ص:315-316

[3] نفس المصدر-ج10، ص:51

[4] ابن الأثير: الكامل-ج7، ص:55

[5] ابن كثير: المصدر السابق-ج10، ص:335

بعض الحنابلة لتفريق جمعهم[1]. وهرب البربهاري واختفى حين طلبه الحاجب علي بن يلبق[2]، وربما قصد القاهر من عمله ذلك التشفي من الأمويين وإرضاء الشيعة لكنه أساء إلى السنيين الذين يتولون كل الصحابة ويترضون عليهم بما فيهم معاوية بن أبي سفيان.

وحين سمح الخليفة القائم بأمر الله لجلال الدولة البويهي (416-435هـ/1025-1043م) باتخاذ لقب شاهنشاه الأعظم، ملك الملوك وخطب له بذلك على المنابر نفرت العامة ورمت الخطباء بالآجر وحدثت بينهم فتنة فتدخل الفقهاء والقضاة وأفتى معظمهم بالجواز كأبي الطيب الطبري، الشافعي وأبي محمد التميمي الحنبلي، بحجة أن النية هي الأصل فملك الملوك يعني ملوك الأرض[3]. لكن القاضي الماوردى الشافعي لم يجز ذلك رغم صحبته لجلال الدولة[4]، ووافقه على فتواه أبو يعلى الفراء الحنبلي[5].

صحيح أن المقصود بملك الملوك، ملوك الأرض كقولنا قاضي القضاة وكافي الكفاة لكن الذين منعوا التلقب بذلك اعتمدوا على ما جاء عن النبي(ﷺ) من النهي عن التلقب بذلك اللقب. فقد ذكر البخاري ومسلم أن النبي(ﷺ) قال: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله-عز وجل[6]-».

---

[1] مسكويه: تجارب الأمم-حققه أمدروز- القاهرة-بدون ناشر-1914- ج1، ص:260-261

[2] ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:172

[3] ابن كثير: المصدر السابق- ج12، ص:43

[4] نفسه -ج12، ص:43-44

[5] منع ذلك في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق- عبد القادر أبو فارس: المرجع السابق- ص:188

[6] ابن كثير: المصدر السابق- ج12، ص:43

وتبيّن النماذج السابقة أن المعارضة السنية للدولة العباسية في أيام المأمون والمعتصم والواثق كانت عامة وعنيفة مليئة بالأحزان والآلام بسبب محنة خلق القرآن التي دامت 19 عاما وبعدها لم يعرف السنيون ببغداد محنة مثلها في علاقتهم بالسلطة العباسية أما مواقفهم التي عبروا فيها عن رفضهم لإجراءات اتخذها خلفاء بغداد فهي محدودة العدد والزمان والمكان والآثار ولم تكن موجهة للتأثير على جهاز الحكم إلا ما قيل أنهم سعوا إلى توصيل ابن المعتز إلى سدة الحكم لإقامة خلافة حنبلية عام (295هـ/907م).

دور أهل السنة في خلافة ابن المعتز: (295هـ/907م)

في عام (295هـ/907م) خلع الأمراء والقضاة والأعيان المقتدر با لله وبايعوا ابن المعتز خليفة مكانه[1]. بعدما اشترط عليهم عدم سفك الدماء من أجله[2]. لكن أنصار المقتدر تغلبوا على مؤيدي ابن المعتز وأعادوا المقتدر إلى السلطة وقتلوا ابن المعتز وكثير من أصحابه[3]. وانفرد ابن الأثير عن غيره من المؤرخين[4]. برواية أشار فيها أن الغلام المرافق لأبن المعتز أثناء هروبهما كان ينادي" يا معشر العامة ادعوا لخليفتكم السني البربهاري" ليستميل أهل السنة والعوام الذين يعظمون البربهاري رئيس الحنابلة[5]. الأمر الذي دفع بالمستشرق لويس ماسينيون، إلى تصوّر وجود مؤامرة دبرها السنيون لإقامة خلافة حنبلية

---

[1] ابن الأثير: الكامل- ج8، ص:16-17

[2] ابن كثير: البداية- ج11، ص: 107

[3] نفسه- ج11، ص:107

[4] كالطبري، وابن الجوزي، ومسكويه، وأبي الفداء، وابن كثير، وابن العماد الحنبلي

[5] ابن الأثير: المصدر السابق- ج8، ص:16

بربهارية[1]، استمرت يوما واحدا هي خلافة ابن المعتز أخفقت لأنها لم تستطيع الحصول على الأموال من المولين اليهود في القصر، المتواطئين مع عمال الخراج الشيعة خصوم الحكم الوراثي، فأعيدت الخلافة إلى المقتدر[2].

والذي جعل أعيان بغداد وعلمائها يبايعون ابن المعتز هو اشتهاره بالعلم والصلاح وبعده عن مخالطة رجال الدولة[3] في حين كان المقتدر ضعيفا وصغيرا لا يتجاوز ثلاثة عشر عاما[4]. ومن ثم فلا غرابة أن يؤيد الحنابلة وأصحاب الحديث اختيار ابن المعتز ومما يرجح أن دعم هؤلاء كان دعما تلقائيا وليس مبيتا لإقامة خلافة حنبلية أن الغلام عندما فر مع الخليفة طلب من العوام الدعاء له ولم يطلب منهم النجدة[5]، لذلك لم يهبوا للدفاع عنهما.

أما ما ذهب إليه ماسينيون من أن أهل السنة فشلوا في محاولتهم لعدم تلقيهم الأموال من اليهود والشيعة فلا يوجد ما يثبت ذلك فهو لم يشر إلى مصادر معلوماته[6]. كما أن الحنابلة وأصحاب الحديث في إمكانهم الحصول على الأموال من العامة بدون اللجوء إلى اليهود والشيعة[7].

---

[1] نسبة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري رئيس الحنابلة توفي عام(329هـ/940م) (ابن كثير: المصدر السابق-ج11، ص:201) ويجب التفريق بينه وبين أبي عمر محمد بن الحسن بن كوثر البربهاري(ت362هـ) محدث مشهور، حدث له خلط في الحديث بين الصحيح والرديء (أبو سعد السمعاني: الأنساب-حققه عبد الرحمن المعلمي اليماني-حيدر آباد-الدكن- الهند- دائرة المعارف العثمانية(1963-ج2، ص:133)

[2] عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام-ط3- الكويت- وكالة المطبوعات-1978- ص:71

[3] ابن كثير: المصدر السابق-ج11، ص108-109

[4] ابن الأثير: الكامل: ج8، ص:15-16

[5] أنظر: نفسه-ج8، ص:15-16

[6] ترجم عبد الرحمن بدوي مقالات ماسينيون ولم ترد فيها المصادر أنظر: شخصيات قلقة -ص:71

[7] الذهبي: سير أعلام النبلاء-ج15، ص:91

والسياق التاريخي للحوادث يشهد أن انهزام ابن المعتز لم يكن بسبب الضائقة المالية وإنما حدث نتيجة تآمر دبره أنصار المقتدر[1]. ومما يشكك في التعاون الخفي المزعوم بين اليهود والشيعة، أن الحسن بن حمدان أحد غلاة المتشيعين لعلي بن أبي طالب[2]، حاول قتل المقتدر لينفرد ابن المعتز بالحكم[3].

وما ذكره ابن الأثير في تفسير علاقة ابن المعتز بالبربهارية هو أقرب إلى الصواب وأرجح من التعليل الذي طرحه لويس ماسينيون[4]، وجعله يعتقد بوجود مؤامرة سلفية لإقامة خلافة حنبلية بربهارية. ولم يسع الحنابلة طيلة ثلاثة قرون إلى إحداث انقلاب سياسي شامل لتغيير نظام الحكم، وجعله سلفيا وكان في مقدورهم تهديد الخلافة العباسية وتوجيه لها ضربات موجعة، نظراً لتماسك جماعتهم النشطة ولنفوذهم القوي على العوام ولتجربتهم في تحريض جماهير بغداد في نزاعهم مع خصومهم الأمر الذي جعل الدولة تتخوف منهم[5]، فلما اطمأنت من ولائهم لها، غضت عنهم الطرف في فترات كثيرة وإن تباينت سياسة الخلفاء في التعامل معهم ترغيبا وترهيبا.

سياسة الخلفاء تجاه أهل السنة ببغداد:(200-500هـ/815-1106م)[6]:

لم تكن سياسة خلفاء بغداد في علاقتهم بأهل السنة على نمط واحد فمنهم من أحبهم وتقرب منهم ونصر مذهبهم وقمع خصومهم ومنهم من

---

[1] انظر: ابن كثير: البداية- ج11، ص:107، وابن الأثير: الكامل- ج8، ص:15 وما بعدها

[2] ابن الأثير: المصدر السابق- ج8، ص:18

[3] ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:107

[4] لا شك أنه طالع ما كتبه ابن الأثير في الكامل عن الحادثة لكن لا يعرف سبب إغفاله لذلك

[5] انظر ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:201 وابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد- ط3- بيروت- دار الآفاق الجديدة- 1982، ص:503

أبغضهم، واضطهدهم ودعم معارضيهم على حسابهم. وقد تحكمت في تصرفات هؤلاء، اتجاهاتهم المذهبية وميولاتهم الشخصية وظروفهم المحيطة بهم. فالمأمون (198–218هـ/813–833م) أعلى من شأن المعتزلة والشيعة في دولته وفي المقابل أهان السنيين وفرض عليهم القول بخلق القرآن والمعتصم (418 –227 هـ/833 – 841) سار على نهج أخيه المأمون فواصل امتحان أهل السنة بخلق القرآن وأدخل الإمام أحمد السجن ثلاثين شهرا وأهانه، وعذبه ولم يحترم فيه لا شيبته ولا علمه ثم ألزمه بيته وكذلك الواثق (227–232هـ/841–847م) كان أشد من سابقيه إصرارًا على إجبار أهل السنة على القول بخلق القرآن سرًا وجهارًا الأمر الذي دفع بجماعة من أصحاب الحديث إلى الإنكار عليه والعزم على حمل السلاح لمقاومته فكان رد فعله تجاههم حازماً ورادعاً فقتل زعيم الحركة أحمد بن نصر الخزاعي شر قتله وزجّ بأصحابه في السجون وفي المقابل أحب المعتزلة والشيعة أقربهم منه[1].

أما الخليفة المتوكل (232–847هـ/847–861م) فلم يسر على منهج أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون فرفع المحنة عن أهل السنة وقربهم منه واتخذهم سندا له في دولته وانقلب على المعتزلة والشيعة. وأكرم الإمام أحمد بن حنبل وجعله محل رعايته لكنه ظل يتخوف منه إذا أرسل ذات يوم الشرطة إلى بيت أحمد لتفتشيه عندما أخبر أن علويا يختبئ عنده ويبايع الناس سرًا. فلم تجد الشرطة أحدا وتأكد المتوكل من ولاء ابن حنبل له وأن الخبر كذب عليه[2].

---

[1] انظر ابن الأثير: الكامل - ج7، ص: 55، وابن كثير: البداية - ج10، ص: 315-316

[2] ابن كثير: البداية - ج10، ص: 337-338

أما الخليفة الراضي بالله (322-329هـ/934-940م) فكان حازما في موقفه من الحنابلة فعندما تعاظم خطرهم في الفتنة التي أثاروها ببغداد عام (323هـ/935م)[1]. ولم تفلح الشرطة في إيقافهم أصدر الراضي منشوره الشهير زجرا للحنابلة، اتهمهم فيه بالنفاق والخوض في ذات الله وأسمائه والطعن في خيار الأئمة، ونسب آل البيت إلى الكفر والضلال، وأخذ عليهم إنكار زيارة قبور الأئمة وتشنيعهم على زوارها بالابتداع من جهة واجتماعهم على قبر رجل لا نسب له بالنبي(ﷺ) ويدعون لزيارته - يعني أحمد بن حنبل - من جهة أخرى. وذمهم باعتقاد التشبيه والتجسيم ثم ختم خطابه بتحذير جاء فيه: "وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهدا إليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم، ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضربا و تشريدا وقتلا وتبديدا وليستعملن السيف في رقابكم والنار في محالكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فقد أعذر من أنذر وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه توكل وإليه يُنيب"[2].

وقد أصاب الراضي في بعض انتقاداته لجماعة من الحنابلة كمبالغتها في الخوض في ذات الله وصفاته فأبو محمد البربهاري (ت329هـ) رئيس الحنابلة في زمانه كان لا يجلس مجلسا إلا ذكر فيه أن الله -عز وجل- يُجلس رسوله بجانبه على العرش[3]. لكنه افترى عليهم، ولم ينصفهم عندما ادعى أنهم ينسبون آل البيت إلى الكفر، والضلال لأن الحنابلة كغيرهم من أهل السنة، يحترمون آل البيت، ويبجلونهم، ويفرقون بينهم وبين الشيعة وهذا من أصول

---

[1] منها انظر: الفصل الأول والرابع.

[2] انظر: مسكويه: تجارب الأمم، ج1، ص: 223 وابن الأثير: الكامل، ج8، ص: 309.

[3] عن ذلك انظر الفصل الرابع.

أهل السنة[1]. وكان الخليفة القادر بالله (381-422هـ/991-1031م) مواليا لأهل السنة وعلى مذهبهم وقد جمع الفقهاء والعلماء، والقضاة والأعيان وأقرهم على عقيدة أصحاب الحديث وأخذ على ذلك توقيعاتهم عام (420هـ) ووقف بجانبهم في نزاعهم مع الشيعة والمعتزلة[2]. أما القائم بأمر الله فقد سار على نهج والده القادر في مساندة السنيين وفي عهده قُرئ الاعتقاد القادري - القائمي عدة مرات لنصرة مذهب أهل الأثر[3]. وعندما حدث النزاع بين الحنابلة والأشاعرة وقف بجانب الحنابلة وصوّب اعتقادهم[4].

ويرى محمد زاهد الكوثري، أن خلفاء بغداد تغاضوا عن الحنابلة لأن إمامهم منع رواية أحاديث الخروج عليهم[5]. لكن الواقع التاريخي يُثبت أن منهم من تصدى لهؤلاء، بالقمع والمطاردة، لما أحدثوه من فتن في نزاعهم مع طوائف البلد[6]. لكن إدراك الخلفاء، أن نشاط الحنابلة، لم يكن موجها لإسقاطهم، جعلهم يتساهلون معهم، ومن تصدى لهم منهم لم يشتدّ في قمعهم كما اشتد في التصدي لحركات الانفصال الشيعيّة والخارجية الرامية إلى الإطاحة بالعباسيين.

وتجدر الإشارة إلى أن تباين سياسة الخلفاء تجاه فئات المجتمع الواحد ساهم في تصعيد النزاع المذهبي حين تعصّب بعضهم لطائفة ونصروها على حساب الطوائف الأخرى الأمر الذي عمّق الخلافات المذهبية التي كثيرا ما انتهت إلى صدمات دامية بين طوائف بغداد.

---

[1] انظر: عبد الكريم العقل: مجمل أصول أهل السنة ص: 26
[2] عن ذلك: راجع الفصل الثاني والثالث
[3] عنه انظر ابن أبي يعلى الفراء- طبقات الحنابلة- ج2، ص: 197-198
[4] عن ذلك انظر: نفس المصدر- ج2، ص: 197-198
[5] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري- مقدمة المحقق- ص: 17
[6] عن ذلك انظر: مسكويه- تجارب- ج1، ص: 223، وابن الأثير: الكامل- ج8، ص: 309

-الفصل الثاني-

علاقة أهل السنة بالمعتزلة في بغداد

(200-500هـ/815_1106م)

الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة:

انفصل المعتزلة عن جمهور أهل السنة والجماعة أيام الحسن البصري(ت110هـ/728م) عندما اعتزل مؤسس فرقتهم واصل بن عطاء حلقة الحسن في أواخر القرن الأول الهجري/7م[1]. وكانت جماعتهم في بداية أمرها فرقة كلامية بعيدة عن السياسة، ثم انغمست فيها أيام الخليفة المأمون، المعتصم، والواثق، فاستغلت نفوذها في الدولة لفرض أفكارها على الناس ببغداد، فجوبهت بمقاومة السنيين لها نظرا للخلاف المذهبي بين الطائفتين، فمذهب أهل السنة يقوم على تقديم الشرع على العقل[2]، أما المعتزلة فيقدمون العقل على الشرع[3]. وقد أخذ عليهم الإمام أحمد اتخاذهم العقل ذريعة للإنفلات من الشرع وجعله مصدراً للمعرفة بدلا من الوحي[4]. وأكد من جهة أخرى أن العقل وسيلة للبحث والفهم والاستنباط وذلك ما أوجبه الله على عباده[5]. ويرى أن المعتزلة اتخذوا منهجا بعيدا عن الشرع في أسسه ووسائله وغايته حين ابتعدوا عن الكتاب واتفقوا على معارضته[6].

وفي موضوع الصفات الخبرية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كالاستواء، والنزول، فإن أهل السنة يثبتونها بلا تشبيه ولا

من أسباب انفصال واصل به عطاء عن الحسن قوله أن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين (الموسوعة العربية الميسرة-2/1718 و1939 والمسعودي: مروج الذهب-ج3، ص:276-277)

من ذلك راجع التمهيد

الموسوعة العربية الميسرة- ج2، ص:1940

ابن مفلح: الآداب الشرعية والمنح المرعية- ج1، ص:235

أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة- ج2، ص:281

ابن مفلح: المصدر السابق -ج1، ص:235

تعطيل[1]. لكن المعتزلة ينفون تلك الصفات ويؤولونها تأويلاً يؤدي إلى تعطيلها[2]. ويعتقد ابن تيميه أن من عطل صفات الله -عز وجل- كان جاحداً ممثلاً له بالمعدومات والجمادات، ومن شبهه بخلقه كان ممثلاً له بالحيوانات والصواب هو إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل[3].

واختلفت الطائفتان في مسألة خلق القرآن، فالمعتزلة قالوا بخلقه وأهل السنة أنكروا عليهم ذلك وقالوا أن القرآن من أمر الله وعلمه وليس من خلقه كما تنازعا في رؤية الله فالمعتزلة أنكروا رؤيته يوم القيامة[4]، والسنيون أثبتوها لأن الله – عز وجل – يقول: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" سورة القيامة الآية رقم 22، وجاء عن النبي (ﷺ): «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته" رواه البخاري ومسلم.

ويؤخذ على المعتزلة، إقحام عقولهم في مواضيع يستحيل على العقل البشري إدراكها، وتصورها، وكان عليهم أن يرجعوا إلى الوحي لاستلهام عقائدهم منه مباشرة، لكنهم لم يفعلوا ذلك لانحرافهم المنهجي في تقديم العقل على الشرع وتحكيمه في قضايا غيبية. فلو احترم هؤلاء عقولهم لقالوا على الأقل أن العقل لا يمكنه إثبات رؤية الله أو نفيها وتبقى الكلمة الأخيرة للوحي.

وانتهى الخلاف بين الطائفتين إلى تكفير كل منهما للآخر[5]، وذهاب أمل التقريب بينهما ليدخلا في نزاع استمر قرونا.

---

[1] انظر: الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق- ج2، ص:265 وابن تيمية: موافقة صريح المعقول- ج2، ص:20

[2] انظر ابن تيمية: منهاج السنة- ج2، ص:420، وأبو الحسين بن أبي يعلى- المصدر السابق- ج2، ص:210

[3] ابن تيمية: الرسالة التدمرية -باتنة- شركة الشهاب-1989-ص:4

[4] المسعودي: مروج الذهب- ج3، ص:276

[5] ابن كثير: البداية -ج10، ص:305، وأبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة- ج1، ص:76 وج2، ص:37

النزاع بين أهل السنة والمعتزلة ببغداد: (200-500هـ/815-1106م)

وقع أشهر صدام بين الفرقتين في فتنة خلق القرآن، حين استغل المعتزلة نفوذهم في الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق، وفرضوا على أهل السنة القول بخلق القرآن وأدخلوهم في محنة دامت 19 عاما لكن النهاية كانت لصالح السنيين الذين طاردوا المعتزلة ونبذوهم وآذوهم[1]. وحالوا بينهم وبين تكوين جماعة قوية ومنظمة ذات تأييد شعبي ونشاط مذهبي واسع فيما بين: (237-500هـ/851-1106م) لكن جهودهم العلمية لنصرة مذهبهم لم تتوقف فأمرت السلطة بمنع بيع كتبهم وتداولها عام (279هـ/882م)[2].

وعندما تشتت شمل المعتزلة، واشتد عليهم حصار أهل السنة في القرنين الرابع والخامس الهجريين/10-11م، تسربوا إلى الشيعة ونشروا فكرهم بينهم[1]. وتستروا بمذهب الأحناف[2]. حتى أصبح من النادر ومن المستطرف أن تجد حنفيا ليس معتزليا[3]، لكن نشاطهم العلمي لم يظهر ببغداد إلا في فترات متفرقة، تصدى لهم فيها السنيون بحزم. من ذلك أن المعتزلة جهروا بمذهبهم في دولة بني بويه فجمعهم الخليفة القادر با لله (381-422هـ/991-1031م) عام (408هـ/1017م)، واستتابهم من الاعتزال والتشيّع، ومن كل ما يعارض الإسلام، فأعلنوا توبتهم وأمضوا على ذلك بخطوطهم[4]. ثم حذرهم إن عادوا لما

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم- ج8، ص:236

[2] ابن كثير: المصدر السابق -ج11، ص:64-65

[3] نفس المصدر- ج12، ص:12، 33، 104

[4] تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى- ج3، ص:64-65، ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:224-225

[5] ابن الأثير: الكامل- ج10، ص:93

[6] ابن الجوزي: المنتظم -ج7، ص:287

نهوا عنه فسيحل بهم من العقوبة ما يتعظ به أمثالهم. وأصدر أمراً بقتل المعتزلة والشيعة والمشبهة في كامل دولته[1].

ولا شك أن الحنابلة وأصحاب الحديث من وراء ما أصاب هؤلاء، لأنهم كانوا قريبين من الخليفة القادر، وهو على معتقداتهم وقد انتصر لهم في نزاعه مع خصومهم[2].

وعندما خرق مدرس المعتزلة ابن الوليد (ت478هـ/1085م) الحصار الذي ضربه عليه أهل السنة عام (456هـ/1063م) ودرّس مذهبه للناس وامتنع من الصلاة في الجامع[3]. هجم عليه قومٌ من أصحاب عبد الصمد[4]، فسبوه وضربوه حتى أدموه، فصاح صياحا شديدا ولعن لاعنيه ثم فرّ مهاجموه خوفا من سكان الحي[5]. ودخل بيته وغلق بابه، وخرج أهل السنة على إثر ذلك إلى جامع المنصور ولعنوا المعتزلة[6]. وقد شارك فيما حدث لابن الوليد أصحاب الحديث والحنابلة المنتسبين لجماعة عبد الصمد[7]. وكان أبو سعد البقال الحنبلي (ت506هـ/1112م) أشهر الذين لعنوا المعتزلة مراراً في حياة ابن الوليد[8].

وفي أيام أبي منصور بن يوسف الحنبلي (ت460هـ/1067م) صاحب النفوذ القوي على العامة والخاصة اشتدّ الحال على المعتزلة فكان حريصا على

---

[1] ابن كثير: البداية – ج12، ص:6

[2] انظر: أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة – ج2، ص:19، وابن تيمية: نقض المنطق 6 ص:13

[3] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج8، ص:236

[4] نسبة لأبي القاسم عبد الصمد الدينوري (ت397هـ) فقيه شافعي كوّن جماعة للقيام بالحسبة – ابن الجوزي: المصدر السابق – ج8، ص:236

[5] نفسه – ج8، ص:236

[6] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:91

[7] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج8، ص:236، وابن الأثير: الكامل – ج9، ص:576

[8] ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات – ج1، ص:132

مطاردتهم. فعندما جاء داعية الاعتزال أبو جعفر البخاري[1] (ت482هـ/1089م) إلى بغداد منعه من دخولها وأجبره على العودة من حيث أتى[2]. وحين توفي أبو منصور عام (460هـ/1067م) عزم المعتزلة على الظهور، واتصلوا بمعلمهم ابن الوليد وشجعوه على الخروج لتدريس مذهبهم فلما شاع أمرهم انتقل رئيس الحنابلة الشريف أبو جعفر إلى جامع المنصور فتلقاه أهل السنة وفرحوا بقدومه[3]، ثم اجتمع برفاقه وأصحاب الحديث في الديوان وقرأوا كتاب التوحيد لابن خزيمة، ورسالة القادر بالله في الاعتقاد وأعلنوا أن كل الشيعة كفار ومن لم يلعنهم فهو كافر مثلهم، ثم طلب الشريف أبو جعفر من الوزير ابن جهير نسخا ووزّعها على جوامع بغداد ومساجدها[4]. فالمعتزلة قصدوا بهذا التصرّف جسّ نبض الحنابلة وأهل الحديث لمعرفة رد فعلهم بعد وفاة، أبي منصور بتحريض من الشيعة، الذين دفعوهم إلى الظهور لفك الحصار المفروض عليهم، لذلك كفّرهم أهل السنة ولعنوا كل من لم يلعنهم، وفوّت عليهم الحنابلة وأهل الحديث الفرصة، وخيّبوا ظنّهم وتصدّوا لهم بحزم واستعانوا عليهم بالسلطة.

وعندما ضعف نفوذ الحنابلة وأصحاب الحديث في الدولة، بمجيء نظام الملك إلى الوزارة وتأييده للأشعرية[5]، تحسّنت أحوال المعتزلة فتمكّن داعيتهم أبو جعفر البخاري من دخول بغداد – بعدما منع منها سابقا – والاستقرار بها إلى أن توفي عام (482هـ/1089م) ولا يُعرف ردّ فعل الحنابلة وأهل الحديث

---

[1] يعرف بقاضي حلب كان حنفيا في الفروع -ابن كثير: البداية-ج12، ص:136

[2] ابن الجوزي: المصدر السابق -ج9، ص:52

[3] نفس المصدر -ج8، ص:249

[4] نفسه -ج8، ص:249

[5] عن موقف الوزير نظام الملك من الحنابلة والأشاعرة، انظر الفصل الرابع

تجاه حلوله بمدينة السلام[1]. ويرى جورج مقدسي أن نظام الملك استقبل أبا جعفر وأكرمه معارضة لابن يوسف[2]. في حين يعتقد إحسان عباس أن موقف الوزير دليل على تسامحه وسعة صدره للناس لا على أنه كان مناوئا لسياسة أبي منصور بن يوسف[3]. ولا شك أن الوزير كان مفعالا للخير، ومحبا للعلماء ومكرما لهم لكن لا يستبعد أن يقصد من سماحه لأبي جعفر الاستقرار ببغداد الإساءة للحنابلة والمساندين لهم، لوقوعه تحت تأثير الأشاعرة خصوم هؤلاء[4].

وساهم المعتزلة في فتنة أبي الوفاء بن عقيل التي كادت أن تعصف بالجماعة الحنبلية بين عامي: (461–465هـ/1068–1072م) ذلك أنهم لقّنوه مذهبهم سرّا[5] وحرّضوه في الخروج على أصحابه وعملوا على تهريبه والتنقل به[6]. لكنهم لم يفلحوا في تحقيق مبتغاهم في نهاية الأمر، إذا عاد الشاب المتمرد إلى الحنابلة وأعلن توبته عن الاعتزال[7].

ويتبيّن من تتبع حوادث النزاع بين أهل السنة والمعتزلة أن الطائفتين لم يدخلا في صدمات مسلحة كما هو الحال بين الحنابلة والأشاعرة مثلا مع احتمال تعاون المعتزلة مع الشيعة في صراعهم مع السنيين بحكم تحالف الفريقين، كما لم يكن أهل الاعتزال في نزاعهم مع الحنابلة وأصحاب الحديث

---

[1] نظر: ابن الجوزي: المصدر السابق– ج9، ص:52

[2] رفاة العلم– مجلة الأبحاث–مج14، ج4، 1961، ص:490

[3] نفسه –مجلة الأبحاث–مج14، ج4، 1961، ص:490

[4] عن ذلك انظر: الفصل الرابع

[5] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج8، ص:254

[6] George Makdisi: Autograph Diarry-Vol:19-1eme partie-1961-p:490

[7] عن التفاصيل الفتنة انظر: ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة- ج 1، ص:173 وما بعدها

في موقف قوة معظم الأحيان[1]، نظراً لضعفهم وقلتهم وذوبانهم في الأحناف والشيعة[2]. في حين كان الحنابلة يمثلون غالبية سكان بغداد[3].

وأن الخلاف بين الجماعتين تعود جذوره إلى أيام فتنة خلق القرآن عندما كفّر أحمد بن حنبل المعتزلة وكفّروه، فجاء الأتباع وورثوا ذلك العداء الذي زادته حوادث النزاع اتساعا وشدة. ويتقاسم الطرفان مسؤولية ما جرى بينهما، إذا كان كل منهما يتعمد الإساءة إلى الآخر والقدح فيه[4]. فزاد ذلك السلوك وأمثاله من تطرف الفئتين وذهب أمل التعايش بينهما.

ولم يمنع العداء المستحكم بين أهل السنة والمعتزلة رجال الفكر من الفريقين من الاجتماع للمناقشة وتبادل وجهات النظر، إذ ذكر أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت513هـ/1119م) أنه حضر مجلسا بأحد دروب الكرخ، جمع ابن التبان المعتزلي وآخرين من الحنابلة، وأصحاب الحديث، دار فيه النقاش حول آيات الأضلال المطلقة فأستحسن ابن عقيل ما ذهب إليه ابن التبان[5].

وأخيراً لم يكثف المعتزلة نشاطهم المذهبي أثناء انشغال الحنابلة وأصحاب الحديث بمواجهة كل من الأشاعرة والشيعة.

---

[1] ما عدا فترة أيام المأمون والمعتصم والواثق

[2] تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص: 331. وابن كثير: البداية، ج12، ص: 53، 104

[3] ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص: 312

[4] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 92

[5] الطرسوسي: [illegible]، ج1، ص: 239 وما بعدها

ـ الفصل الثالث ـ

علاقة أهل السنة بالشيعة الإثنى عشرية في بغداد (200-500هـ/815-1106م)

الخلاف المذهبي بين أهل السنة والشيعة الإثنى عشرية:

يجب التفريق بين شيعة علي بن أبي طالب(ﷺ) وبين الشيعة الإمامية فشيعة علي هم أنصاره الذين وقفوا بجانبه في نزاعه مع معاوية وجيشه فمنهم من خرج عليه، وهم الخوارج، ومنهم من اعتزل الحرب، بعد مقتله ككثير من الصحابة منهم عبد الله بن عباس(ﷺ)، ومنهم من رجع إلى جماهير المسلمين - وهم أهل السنة - بعد عام الجماعة عندما تنازل الحسن بن علي، لمعاوية بن أبي سفيان(ﷺ) بالخلافة عام (41هـ/661م) وطائفة أخرى من أنصار علي عُرفت بالشيعة وهي عدة فرق منها: فرقة الإثنى عشرية وقد بدأ مذهبها في التقعيد بعد وفاة إمامها الحادي عشر الحسن العسكري (ت254هـ/868م) وأول كتاب جمع أقوال الأئمة ألفه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة (329هـ/940م)[1]، وهو بمنزلة صحيح البخاري عند السنيين وكانت هذه الطائفة متواجدة بكثرة في بغداد والكوفة، حيث تكثر مشاهد أئمتها[2]. وخلافها المذهبي مع أهل السنة جد عميق في الأصول والفروع.

فالإمامية يقوم مذهبها على الاعتقاد بإمامة اثنى عشر إماما، وهم معصومون من الخطأ كلامهم شرع، وطاعتهم واجبة[3]، ومن أنكر إمامة أحد منهم أوكلهم فهو كافر[4]، وهم يعلمون ما كان وما سيكون ولا يخفى عنهم

---

[1] انظر: الأصول من الكافي-مج3-دار الكتب الإسلامية-طهران-1388هـ.

[2] من ذلك انظر، الفصل الرابع

[3] الكليني: المصدر السابق-ج1،ص:185

[4] نفس المصدر -ج1، ص:187

شيء[1]. وتعتقد هذه الطائفة أن الصحابة كلهم ارتدوا بعد النبي (ﷺ) إلا ثلاثة أو أربعة[2].

أما أهل السنة فلا يؤمنون بعقائد هؤلاء أصلا وعندهم الخلافة بالبيعة والاختيار وليست بالنص وقد صح عن علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) عندما حضرته الوفاة وقيل له: استخلف؟ قال: «لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله (ﷺ) يعني بغير استخلاف- فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله(ﷺ) »[3]. والصحابة عند أهل السنة كلهم عدول ليسوا بمعصومين والسنيون يحترمون أهل البيت ويبجلونهم ويفرقون بينهم وبين الشيعة الذين كذبوا عليهم ما لم يكذب على غيرهم[4]. وتعتبر مسألة الإمامة هي نقطة الخلاف الأساسية بين الطائفتين وعنها تفرعت عشرات المسائل الخلافية الأخرى في الأصول والفروع[5]. لذلك كان النزاع بينهما ببغداد عنيفا ومأسويا لم ينقطع طيلة عهود الخلافة العباسية.

---

[1] الكليني: المصدر السابق- ج1، ص:258

[2] انظر: أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة- ج1، ص:33 وحسن صديق خان: قطف الثمر-:63، وأبو الحسن الندوي: صورتان متضادتان عن أهل السنة والشيعة الإمامية. ط1، القاهرة، دار الصحوة. 1985، ص:55

[3] أبو يعلى الموصلي: المسند، حققه حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون، دمشق، 1404، ج 1 ص: 284.

[4] ابن تيمية: مجموع الفتاوى- ج 2، ص:217

[5] راجع أبو زهرة: جعفر الصادق- وإحسان إلهي ظهير- السنة والشيعة والكليني: الكافي

النزاع بين أهل السنة والشيعة الإثنى عشرية ببغداد200-500هـ/815-1106م

كثرت الفتن بين الطائفتين في القرنين الرابع والخامس الهجريين/10-11م وكان الحنابلة[1]، أكثر أهل السنة عزماً وحرصا على التصدي للشيعة ومحاربة كل ما يمت إليهم بصلة. من ذلك أن الشيعة اتخذوا مسجد براثا[2]، مقراً لاجتماعاتهم ومنطلقا لنشاطهم، فلما علم الخليفة المقتدر (295-320هـ/907-932م)، أنهم يتبرأون منه ويكاتبون القرامطة[3]، أمر بهدم المسجد بعدما استفتى الفقهاء الذين حرّضوه على تخريبه[4] عام (313هـ/925م) ثم حوّلت أرضه إلى مقبرة اجتهد أبو محمد البربهاري وأصحابه على حث الناس للدفن فيها[5]، حرصا منهم على إزالة آثار مسجد الشيعة.

وعندما تولى الأمير التركي بجكم (ت329هـ/940م) إمرة الأمراء أعاد بناء مسجد براثا بعدما أفتاه بعض الفقهاء بنبش القبور وتحويل رفاتها إلى أماكن أخرى[6]. فلما توفي بجكم فرح الحنابلة وقالوا: ظهرت السنة ثم حاولوا تخريب المسجد وآذوا الشيعة، فتدخل الخليفة المتقي لله (329-333هـ/940-944م) وأصدر توقيعا هدّدهم فيه بالسجن والعقاب ووكّل بالمسجد من يحميه، وأمر بقتل كل من يحاول هدمه[7]. وظل مسجد براثا يشهد الحوادث الدامية بين

[1] كثير من المؤرخين لم يصرح بدور الحنابلة في الصراع السني-الشيعي فقد يذكرونهم مع السنة أو يشيرون إلى غلمانهم. انظر ابن كثير: البداية-ج11،ص:338، ج12،ص:6،134 وابن الجوزي: المنتظم-ج7،ص:387، ج8،ص:78

[2] براثا أصلها قرية قبل الإسلام ثم اندمجت مع بغداد بعد ذلك يوجد بها المسجد الذي نسب إليها جنوب القسم الغربي من بغداد أحمد سوسة خارطة بغداد-ص:12

[3] ابن كثير: المصدر السابق -ج11، ص:152

[4] ابن الجوزي: المصدر السابق -ج6، ص:195

[5] أبو بكر الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي لله -مصر-مطبعة الصاوي-1935-ص:136

[6] نفسه -ص:136

[7] أبو بكر الصولي: المصدر السابق- ص:198

السنة والشيعة كما حدث في عام (354هـ/965م) و(420هـ/1029م)[1] حتى أغلق سنة (450هـ/1058م) فسدت أبوابه وبقي مهجوراً إلى غاية عام (473هـ/1080م) أين اكتشفت جماعة عبد الصمد أن طائفة من الشيعة يجتمعون فيه سراً فأنكروا عليهم فعلتهم واتهموهم بموالاة الفاطميين، ثم صدرت فتاوى الفقهاء بوجوب كفهم عن المسجد، فهربوا ونهبت دورهم[2].

فالحنابلة وأصحاب الحديث لم يقدروا على هدم المسجد أو غلقه بعدما أعيد بناؤه ثانية طيلة عهد بني بويه (334-447هـ/945-1055م) رغم الفتن الدامية التي شهدها لكنهم تمكنوا من غلقه نهائيا بعد ثلاث سنوات من قيام دولة السلاجقة السنية ببغداد عام (447هـ/1055م) الأمر الذي ساعدهم على تضييق الخناق على الشيعة.

واشتهر الحنابلة عن غيرهم من أهل السنة باعتراضهم على الشيعة زيارة مشاهدهم المقدسة في بغداد وما جاورها، فمنعوهم من النوح على الحسين بن علي بالقوة[3]، ومن زيارة أضرحة أئمتهم إلا من أتاها خفية وبحماية السلطة خوفا منهم[4]. ففي سنة (327هـ/838م) قصد قوم من الشيعة قبر الحسين فتبعهم الحنابلة، ووقعت بينهم فتنة تدخلت على إثرها الشرطة، فأعانت على الحنابلة، وقتلت منهم أثنين وجرحت بعضهم، وأحرقت منازل آخرين، وقبضت على جماعة من أصحابهم، وحاصرت بيت رئيسهم أبي محمد

---

[1] ابن الأثير: الكامل -ط2- ج7، ص:356
[2] ابن الجوزي: المنتظم-ج8، ص:327
[3] مؤلف مجهول: كتاب العيون والحدائق في معرفة الحقائق-تحقيق عمر السعيدي-دمشق- المعهد الفرنسي-1972-مج4، ج332/1
[4] التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- بيروت- دار صادر- 1971-ج2، ص:232-233

البربهاري الذي تمكن من الفرار والاختفاء[1]، وصلب الدلاء[2]، صاحب البربهاري على أحد جسور بغداد.

ولا يستبعد أن يكون بجكم (ت329هـ/940م)، المناصر للشيعة من وراء ما أصاب الحنابلة في هذه الحادثة من قتل وقمع وتشريد بحكم عدائه الشديد لهم[3]، وبصفته أميراً للأمراء في تلك الفترة[4].

وفي عام (422هـ/1030م) قدم نفر من شيعة مدينة قم لزيارة مشهدي علي والحسين، فتعرض لهم حنابلة باب البصرة[5]، ومنعوهم من إتمام زيارتهم، وقتلوا منهم ثلاثة[6] ولا ندري ما إذا كان عدم تدخل الشرطة يرجع إلى نفوذ الحنابلة في السلطة آنذاك، أو إلى ضعف بني بويه في أواخر دولتهم، أو أنها تدخلت لكن المصادر أغفلت ذكرها. والحنابلة في اعتراضهم على للشيعة، لم يتمكنوا من إيقافهم عن زيارة قبور أئمتهم لكنهم وُفّقوا في إجبارهم على ترديد المراثي في الحسين وأهل بيته دون سب السلف[7].

وقد كثُرت الفتن الطائفية واشتدت حدتها بين الجماعتين عندما تقوى جانب الشيعة بقيام دولة بني بويه وفَقَدَ أهل السنة دعم السلطة لهم لكنهم لم يستسلموا وتصدّوا لخصومهم بقوة في كثير من الأحيان.

---

[1] مؤلف مجهول: نفس المصدر- ج4، القسم الأول- ص:332

[2] كان قد سجن عام (326هـ) ثم فر من دار محكم ثم ألقي عليه القبض ثانية عام 327هـ الصول: المصدر السابق ص:136

[3] مؤلف مجهول: المصدر السابق- ج4، القسم الأول- ص:332

[4] الصول: المصدر السابق- ص:198

[5] ابن كثير: البداية- ج11، ص:200-201

[6] ذكر ابن الأثير أهل باب البصرة فقط (الكامل- ط2- بيروت مؤسسة عز الدين- 1987- ج7، ص:356) لكن من الثابت أن كل سكان ذلك الحي حنابلة لا يوجد به غيرهم ياقوت الحموي: المصدر السابق- ج4، ص:448)

[7] ابن الأثير: الكامل- ط2، ج7، ص:356

[8] التنوخي: نشوار المحاضرة – ج2، ص:233

الفتن الطائفية بين السنة والشيعة ببغداد (العهد البويهي): (334-447هـ/946-1055م)

عندما استولى بنو بويه[1]، على بغداد عام (334هـ/946م) وفروا الدع
والحماية للشيعة الذين أظهروا عقائدهم وسبوا الصحابة، وتحدّوا مشاعر أهل
السنة، فحدثت بين الطائفتين فتن دامية، قُتل فيها خلق كثير، ووقع فيه
دمار كبير في سنوات (338هـ/949م و340هـ/951م و346هـ/957م و347هـ/958م)[2] وفي
عام (351هـ/962م) كتب الشيعة على أبواب المساجد لعن الله معاوية بن أبي
سفيان ومن غصب فاطمة حقها[3]، -أي أبو بكر الصديق- ومن أخرج العباس
من الشورى- أي عمر بن الخطاب - ومن نفى أبا ذر الغفاري - أي عثمان
بن عفان - ومن منع دفن الحسين عند جده -أي مروان بن الحكم - وأما
هذا التحدي احتج السنيون لدى معز الدولة البويهي، فلم ينكر ذلك، ولم
يغيّره فمحى أهل السنة ما كتبه هؤلاء، وكتبوا: لعن الله الظالمين لآل محمد من
الأولين والآخرين، ومن صرح باسم معاوية في اللعن[4].

فمعز الدولة كان راضيا عما أقدم عليه هؤلاء، لذلك لم يُحرك ساكنا رغم
احتجاج السنة وفيه يقول ابن كثير: "قبّحه الله وقبح شيعته من الروافض"،
ويرى أن البلاد التي ينتشر فيها التشيع، وسبّ الصحابة، واتباع الأهواء
سرعان ما يحل بها عقاب الله عز وجل، فالفاطميون عندما أظهروا الرفض

[1] هم الشيعة زيدية سيطروا على بغداد وأصبح الخليفة أسيراً عندهم انظر ابن الأثير: الكامل- ج8، ص452-453- وابن كثير: البداية- ج11/173-174
[2] انظر ابن كثير: المصدر السابق - ج11، ص:221، و222، 223، 224، 234
[3] لم يمنعها حقها وإنما ذكر لها أن النبي -(ﷺ)- قال: "نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" أو كما قال(ﷺ).
[4] ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:240

المنكرات وسبوا خير الخلق بعد الأنبياء، كان جزاءهم أن أخذ منهم الصليبيون مصر ومعظم الشام.

وما أصاب السنيين في هذه الحادثة هو تحد صارخ لمشاعرهم وعقيدتهم بمباركة من السلطة. ويبدو أنهم لم يتصدّوا بالقوة لردع الشيعة كما حدث عام (346هـ/957م) ربّما لضعفهم ووقوف الدولة بجانب خصومهم. ثم توالت التحديات على أهل السنة ففي عام (352هـ/963م) أمر معز الدولة البويهي، بغلق الأسواق وأن تلبس نساء الشيعة، المسوح من الشعر ويخرجن إلى الشوارع حاسرات وجوههن، وناشرات شعورهن، ويلطمن وجوههن لإحياء يوم عاشوراء (10 محرم)، والنياحة على الحسين بن علي بن أبي طالب[2]. وفي 18 ذي الحجة من نفس العام أمر معز الدولة الشيعة بالاحتفال بيوم غدير خم، فأظهروا الزينة وفتحوا الأسواق ليلا تعبيرا عن فرحتهم بذلك اليوم أما أهل السنة فلم يفعلوا شيئا إذ لم يكن بمقدورهم في هذه السنة منع هؤلاء لكثرتهم ودعم السلطة البويهية لهم[3]. لكن عجزهم لم يدم طويلا، فقد تصدّوا لهم عام (353هـ/964م) وقاتلوهم حين عملوا عزاء الحسين يوم عاشوراء[4].

وقبل مواصلة حوادث النزاع بين الطائفتين لابد من الوقوف عند حديث غدير خم الذي حدثت بسببه فتن رهيبة. فهذا الحديث نسبة لمكان يدعى خماء بين مكة والمدينة وقف عنده النبي(ﷺ) يوما خطيبا فوعظ وذكّر ومن جملة ما قاله: "أذكركم الله في أهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي،

---

[1] نفس المصدر – ج11، ص: 241

[2] ابن كثير: البداية – ج11، ص: 243

[3] نفسه – ج11، ص: 243

[4] نفس المصدر – ج11، ص: 253

أذكركم الله في أهل بيتي"[1]، وقد جعل الشيعة هذا الحديث عمدتهم في
الإمامه وفي جدالهم مع أهل السنة ويدعون أن الرسول (ﷺ) قال: "من كنت
مولاه فعلي مولاه" و"اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" و "أنصر من نصره" ا
وذكر ابن تيميه أن المقطع الأول لا وجود له في أمهات كتب الحديث. إلا
عند الترمذي وقد طعن فيه البخاري وغيره وحسنه البعض وحتى وان وجدت
تلك الولاية التي جاءت في المقطع الأول، فهي ولاية مشتركة بين المؤمنين أ
المقطع الثاني فإن الحق لا يدور إلا مع النبي (ﷺ) وإلا لما تنازع الصحابة مع
علي في مسائل عديدة، كما أن ذلك يخالف أصلا من أصول الإسلام إذ جعل
القرآن المؤمنين اخوة، رغم قتال بعضهم البعض أما المقطع الأخير "اللهم أنصر
من نصره" قال عنه " أحمد زيادة كوفية" . والتاريخ يكذب ذلك فقد انهزم
علي وأصحابه، وانتصر بنو أمية وفتحوا البلاد وما رواه مسلم "أذكركم الله في
أهل بيتي". فيعم كل أهل البيت[3]. وأهل بيته هم أزواجه وآل علي وآل عقيل
وآل جعفر، وآل العباس[4]. ويلاحظ كذلك أن ما ذكره مسلم فهو من باب
التذكير والحث على إعطاء آل البيت مكانتهم اللائقة بهم وعدم الكذب عليهم
ولا دخل له بمسألة الإمامة، والأئمة المعصومين البتة، وقد تواتر عن علي بن
أبي طالب أنه لما حضرته الموت رفض استخلاف ابنه الحسن وقال: «إن يرد
الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم،كما جمعكم على خيركم بعد رسول
الله(ﷺ)"[5]. ولا بد من التنبيه إلى أن الشيعة أقاموا عقيدتهم على أحاديث

[1] أنظر: النووي: رياض الصالحين-ص: 141
[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى ج4، ص 417
[3] نفس المصدر-ج4، ص: 418-419
[4] النووي: المصدر السابق-ص: 141
[5] ابن كثير: البداية-ج8، ص: 14

والتنبيه إلى أن الشيعة أقاموا عقيدتهم على أحاديث خاصة بهم رواها الكليني وغيره – في كتابه الكافي[1]. وهي لا توجد عند أهل السنة، لكنهم يحاولون استغلال الأحاديث الضعيفة، والموضوعة المروية في كتب أهل السنة لمجادلتهم وإقامة الحجة عليهم أما الأحاديث الصحيحة التي يقوم عليها المذهب السني فلا يتطرقون إليها ولا يؤمنون بها.

وقد واصل الشيعة الإمامية ببغداد عمل عزاء الحسين يوم عاشوراء وإحياء يوم غدير خم بين سنتي (354–361هـ/965–971م) ولا يُعرف رد فعل السنيين تجاههم، وعن تلك الأعمال التي ابتدعها هؤلاء، يقول ابن كثير، أنها: «تكلف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان خيرا لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة»[2].

وفي تجمع لأهل السنة والشيعة لغزو الروم – الذين عاثوا في أرض الخلافة فساداً – عام (361هـ/971م) وقعت فتنة بين الطائفتين، وأقدم السنيون على حرق دور الشيعة بالكرخ، وقالوا لهم: "الشر كله منكم" ثم حدث خلاف بين الوزير السني أبي الفضل الشيرازي ونقيب الطالبيين أبي أحمد الموسوي، ولم يُقدم معز الدولة للمقاتلين أموال الخليفة[3] المخصصة للجهاد، وصرفها في مصالحه الخاصة فأدى كل ذلك إلى توقف الغزوة نهائيا. وفي هذا يقول ابن كثير: «فنقم الناس للخليفة، وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضي، من أخذه أموال الخليفة وتركه الجهاد، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين». ولا يُعرف

---

[1] انظر: ج1، ص:185، و187، و258

[2] ابن كثير: المصدر السابق– ج11، ص:254

[3] كان معز الدولة قد صرف أموال الخراج ثم طلب من الخليفة الأموال لتجهيز الغزوة لكن الخليفة اعتذر فهدده معز الدولة فاضطر الخليفة على بيع بعض متاعه وأرسل له الأموال ابن كثير: المصدر السابق– ج11، ص:272

سبب تشوب الفتنة بين الطائفتين وإن كان من المحتمل أن أثناء تجمهر هؤلاء، ربما حدث بينهم سباب وتفاخر- كما جرى عام 422هـ-[1] دفع بالشيعة إلى سب الصحابة وثلبهم، الأمر الذي أدى بالسنيين إلى حرق دور الشيعة وقالوا لهم:" الشر كله منكم".

وفي عام (363هـ/973م) عمل الشيعة عزاء الحسين يوم عاشوراء، فقاتلهم السنيون وأركب جهلةٌ منهم امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وآخرون بالزبير، وقالوا نقاتل أصحاب علي، فقُتل من الطرفين خلق كثير، وحدث دمار كبير ولم تهدأ الفتنة إلا بتدخل السلطة التي قتلت جماعة من الجانبين، وصلبتهم ليرتدع أمثالهم[2]. وفي ذلك يقول ابن كثير: «وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه بعيد عن السداد"[3]. وفي نفس السنة استغل السنيون انتصار الجند الأتراك الموالين لهم على الديالمة الموالين لبني بويه، وتسلَّطوا على الشيعة واحرقوا حيّهم الرئيسي، الكرخ للمرة الثانية[4]، بعدما أحرق عام (362هـ/972م) بأمر من الوزير السني أبي الفضل الشيرازي[5]. وتبيّن هذه الأعمال وأمثالها ما يكنه كل طرف للآخر من حقد وكراهية، فكل منهما يتربص بالآخر الدوائر للانقضاض على خصمه كلما وجد الفرصة سانحة له الأمر الذي عمّق الخلاف والتعصب المذهبي.

---

[1] عن ذلك انظر: ابن الأثير: كامل- ج9، ص:419

[2] ابن كثير: البداية- ج11، ص:275

[3] نفسه- ج11، ص:275

[4] نفس المصدر- ج11، ص:273

[5] ابن كثير: المصدر السابق- ج11، ص:275

وفي عام (381هـ/991م) أنكر أهل السنة على الشيعة إحياء يوم غدير خم، فاندلع بينهما قتال والحق حنابلة باب البصرة[1]، خسائر كبيرة بالشيعة، وأحرقوا أعلام الأمير البويهي بهاء الدولة (379–403هـ/989–1012م) فقبض على جماعة منهم بتهمة إشعال النار في رايات السلطان، وصلبهم على القناطر ليرتدع أمثالهم[2]. بعدما أدرك خطورة ما فعله الحنابلة عندما أتلفوا شعارات دولته، واتخذت الحادثة صبغة سياسية، ولم تبق في مجالها المذهبي الضيق لذلك كان رد فعله تجاههم سريعا ورادعا وفي السنة الموالية (382هـ/992م) طلب الوزير السني علي بن محمد الكوكبي، من الشيعة الامتناع من عمل عزاء الحسين يوم عاشوراء فاستجابوا له[3]. ربما خوفاً من بطشه ومن وقوفه بجانب أهل السنة في حالة اندلاع القتال بين الفريقين.

وعندما عمل الشيعة عزاء الحسين يوم عاشوراء من عام (389هـ/998م) أقام جهلة أهل السنة مأتما لمصعب بن الزبير ادعوا أنه قتل يوم 12 محرم فزاروا قبره وقبر الحسين[4]. فأحدث هؤلاء منكراً مقابل منكر أولئك، وما ادعوه من أن مصعب بن الزبير قُتل في 12 محرم، خطأ بيّن، وإنما قتل في 13 من جمادى الأول أو الثانية من سنة (71هـ/691م) على قول الجمهور[5]. وفي نفس السنة احتفل الشيعة بيوم غدير خم 18 ذي الحجة، فقاتلهم عوام أهل السنة

---

[1] ذكر ابن كثير أهل باب البصرة فقط (نفس المصدر – ج11، ص 309)، [illegible] ن سكان ذلك الحي كلهم حنابلة

[2] نفسه – ج11، ص:309

[3] نفس المصدر – ج11، ص:311

[4] ابن كثير: المصدر السابق – ج11، ص:326

[5] نفس المصدر – ج8، ص:316

وادعوا أن في مثل ذلك اليوم حُصر النبي(ﷺ) وأبو بكر الصديق في غار حراء[1]، وهذا يخالف ما هو ثابت في السيرة من أن الرسول(ﷺ) وصاحبه (ﷺ) دخلا الغار في أوائل ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة[2].

وفي عام (393هـ/1002م) منع عميد الجيوش السني الحسين بن أبي جعفر الشيعة من عمل عزاء الحسين يوم عاشوراء وبعد ذلك بثمانية أيام منع جهلة أهل السنة بباب البصرة وباب الشعير من النوح على مصعب بن الزبير، فالتزم الفريقان بالمنع[3].

وقد جرت فتنة مدمرة بين أهل السنة والشيعة عام (398هـ/1007م) وذلك أن أحد الهاشميين ذهب إلى فقيه الإمامية ابن المعلم بمسجد بالكرخ وسبّه فثار أصحابه واستنفروا سكان الحي واتجهوا إلى القاضي أبي محمد الأكفاني وإلى شيخ الشافعية أبي محمّد الأسفراييني لإخبارهما بما حدث، وأخذوا معهم مصحفا ادعوا أنه مصحف عبد الله بن مسعود[4]. فجمع القاضي الأعيان، والفقهاء، والقضاة، وعرض عليهم المصحف، فوجدوه يخالف المصحف العثماني المتداول فأشار أبو حامد الأسفراييني بحرقه. فحُرق بحضور الشيعة، فغضبوا غضبا شديدا ودعوا على من فعل ذلك وسبّوه ثم اتجهت جماعة منهم إلى بيت أبي حامد الأسفراييني لإيذائه، فانتقل إلى دار أخرى، وهنالك صاح الشيعة: يا حاكم يا منصور[5]. يعنون حاكم مصر الفاطمي، للتعريض بالخليفة

[1] نفس المصدر - ج11، ص:325

[2] نفسه - ج11، ص:325

[3] نفس المصدر - ج 11، ص:332

[4] نفس المصدر - ج11، ص:339

[5] ابن كثير: المصدر السابق - ج11، ص:339

العباسي، فلما سمع القادر با لله أرسل أعوانه لمساندة السنيين والانتقام من الشيعة، فجرت بين الطائفتين شرور كثيرة، وأحرقت دور عديدة بالكرخ، ثم أرسل الخليفة الوزير عميد الجيوش لنفي الفقيه ابن المعلم، فأخرجه من البلد ثم شُفع فيه، فرجع. ومُنع القصاص من التعرض للذكر أو السؤال باسم أبي بكر، وعمر، وعلي (ﷺ) وعاد أبو حامد الأسفراييني إلى داره[1].

وكانت إجراءات الخليفة القادر با لله وراء توقف الفتنة، التي لم يظهر فيها دور بني بويه، ربما لضعفهم وسيطرة أهل السنة على جهاز الدولة، فالخليفة، والوزير كانا سنيين. وتجدر الإشارة إلى أن ابن كثير لم يذكر لنا محتويات المصحف الذي أظهره الشيعة وليته فعل[2]، ليمكننا من معرفة ما فيه لكنه اكتفى بالإشارة إلى أن المصحف يُخالف المصحف المتداول بين الناس وهذا يؤكد ما هو ثابت عن الشيعة الإمامية بأنهم يعتقدون بتحريف القرآن وأن قرآنهم يخالف القرآن المنتشر في العالم. ومن أراد التحقق فليرجع إلى أهم كتاب عندهم: الأصول من الكافي لأبي جعفر يعقوب الكليني (ت329هـ/940م)[3].

وبعد وفاة الوزير السني عميد الجيوش عام (401هـ/1011م) عمل الشيعة عزاء الحسين يوم عاشوراء، وأحيوا يوم غدير خم من عام (402هـ/1011م) بإذن من الوزير الجديد فخر الملك[4]. ولا يعرف رد فعل أهل السنة تجاه عمل هؤلاء. وعندما وقعت فتنة بين الطائفتين عام (406هـ/1015م) تدخل الوزير المتشيع

---

[1] نفسه – ج11، ص:339

[2] إذا كان ذلك في إمكانه

[3] انظر: ج1، ص:228، 239، 417، وج2، ص:619

[4] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:345

فخر الملك، وأوقفها وسمح للشيعة بإقامة عزاء الحسين[1]. ويقول ابن كثير عن الوزير في تأييده للشيعة: «فلا جزاه الله خيرا، وسوّد الله وجهه يوم الجزاء»[2]. وبعد وفاة الوزير عام (407هـ/1016م) تصدى السنيون للشيعة سنة (408 هـ/1017م) فحدثت فتنة مدمرة بين الفريقين قتل فيها خلق كثير[3].

وتندرج هذه الفتن في سياق الخلاف المذهبي، والعداء الموروث بين الطائفتين. فأصبحت تتكرر أكثر من مرة في السنة الواحدة وتمثل جزءا من عادات الجماعتين، وربما وجد من أنصارهما من ينتظرها بفارغ الصبر لما يحدث فيها من انتقام، ومهاترات، وسباب، ومغامرات، ومما زاد في حدّتها واستمرارها، سعي بعض الوزراء إلى تأييد طائفة على الأخرى حسب ميولاتهم ومذاهبهم.

وفي عام (420هـ/1029م) جمع الخليفة القادر بالله، الأعيان، والفقهاء، وقرأ عليهم رسالتين كتبهما في بيان عقيدة السلف، وفيهما الرد على خصوم أهل السنة، وتفسيق من قال بخلق القرآن، وذكر فيهما كذلك فضائل الصحابة كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- ثم أخذ من الحاضرين توقيعاتهم بالموافقة على ما جاء في الرسالتين[4]. ثم عزل خطباء الشيعة من المساجد وعوّضهم بأهل السنة، فاحتج هؤلاء وتعرضوا للخطيب السني بمسجد براثا بالضرب بالآجر فكسروا أنفه، وخلعوا كتفه، فتدخل الخليفة، وانتقم منهم انتصارا لأهل السنة، فجاء كبراؤهم يعتذرون لدى القادر بالله، بأن الذي حدث صنعه سفهاؤهم[5].

[1] نفس المصدر -ج11، ص:2
[2] نفس المصدر -ج11، ص:345
[3] نفس المصدر -ج 12، ص:5-6
[4] ابن كثير: البداية -ج12، ص:26
[5] نفسه -ج12، ص:26

وما أقدم عليه الخليفة يوحي بوجود نشاط خفي، أو علني من قبل الفرق المناهضة للمذهب السني، الساعية إلى الظهور ونشر فكرها. والرسالتان موجهتان أساسا للرد على المعتزلة، والشيعة، لأنهما أشارتا إلى تفسيق القائلين بخلق القرآن، وإلى ذكر فضائل الصحابة كأبي بكر الصديق وعمر -رضي الله عنهما- ولا شك أن أهل السنة كانوا من وراء الخليفة في إصدار الرسالتين، لبيان عقيدة السلف، وذلك انتصار كبير لهم. وما رد الشيعة على إجراءات القادر بالله إلا دليل على إحساسهم بالخيبة والمرارة.

وفي تجمع لأهل السنة والشيعة عام (422هـ/1030م) صاح السنيون بأبي بكر وعمر، فانزعج الشيعة من ذلك، ونشب قتال بين الطائفتين على جانبي بغداد[1]. وفيه تعاون حنابلة باب البصرة ونهر القلائين[2]، في مهاجمة حي الشيعة الرئيسي الكرخ[3]، فتقوى جانب السنيين ونهبوا الكرخ ودار الشريف المرتضى، وتعدّى النهب إلى دور اليهود، لأنهم نُسبوا إلى مساعدة الشيعة ولم تتوقف الفتنة إلا بعد حدوث قتل كثير ودمار كبير[4].

ويرجع انفراد الحنابلة بشيعة الكرخ إلى قرب محلتي باب البصرة ونهر القلائين الحنبليتين بحي هؤلاء[5]، وإلى كثرة عددهم ببغداد، إذ يمثلون غالبية سكانها[6]، وإلى الخصومة الشديدة بين الجماعتين، الأمر الذي جعل الحنابلة في مقدمة أهل السنة في التصدي للشيعة منذ مطلع القرن الرابع الهجري/10م.

---

1 ابن الأثير: الكامل – ج9، ص: 419

2 قبالة الجانب يسكنهما الحنابلة

3 ابن الأثير: المصدر السابق – ج12، ص: 419

4 ابن كثير: المصدر السابق – ج12 ص: 31

5 يقع الجانب: قبالة الكرخ جنوب القسم الغربي من بغداد. أحمد سوسة: خارطة بغداد ص: 72

6 ابن الجوزي: المنتظم – ج8، ص: 312

ولم تتوقف الفتن بين الطائفتين، إذ استمرت في سنوات (423هـ/1031 و425هـ/1033م و439هـ/1047م و440هـ/1048م) وحدث فيها قتل كثير وخراب كبير لم يذكر المؤرخون تفاصيلها[1]. وفي عام (441هـ/1049م) طلب من الشيعة عدم النياحة على الحسين يوم عاشوراء فلم يستجيبوا. فنشب قتال بينهم وبين حنابلة باب البصرة[2]، قتل فيه العديد من الفريقين ثم بنى الشيعة سورا حول الكرخ فتبعهم الحنابلة، وأصحاب الحديث وأقاموا حائطا حول سوق القلائين[3]. ثم هدم هؤلاء السورين، وردوا الآجر إلى مواضعه السابقة. بالطبول، والمزامير، والأنشاد، والأشعار في مدح الصحابة وثلبهم. وبعد ذلك هدأت الفتنة[4]، ولا يُعرف سبب توقفها.

وهكذا تحولت الفتن إلى مهرجانات تُعرض فيها العضلات، وتُزهق فيها الأرواح، وتُدمر فيها البيوت، وتُنشد فيها الأشعار بالطبول والمزامير. ويُسب فيها الصحابة، ويُنتصر فيها للمذاهب والعقائد، والبلد في تدهور مستمر والعمران في تناقص دائم، من جراء الحروب والحرائق. والغريب أن الفريقين تصالحا عام (442هـ/1050م) إذ تم الصلح بين حنابلة باب البصرة ونهر القلائين من جهة[5]، والشيعة الإمامية من جهة أخرى فزاروا مشهد علي والحسين وتراضوا في الكرخ على كل الصحابة وترحّموا عليهم[6]. وهذا "عجيب جداً إلا أن يكون من باب التقية"[7].

---

[1] كابن الجوزي، ابن الأثير وابن كثير.

[2] ذكر ابن كثير أهل باب البصرة (البداية – ج12، ص:59) لكن من الثابت أن سكان ذلك الحي حنابلة

[3] يقع بالجانب الغربي من بغداد ضمن نهر القلائين أحمد سوسة: خارطة بغداد ص:72

[4] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:59

[5] ذكر ابن الجوزي الحيين فقط.

[6] ابن الجوزي: المنتظم – ج8، ص:143، وابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:68

[7] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:68

لكن الوفاق المفتعل لم يدم طويلا إذ بسرعان ما تجدد القتال بين الطائفتين عام (443هـ/1051م) وعاد على أشده من شهر صفر إلى ربيع الأول وذلك أن السنيين أنكروا على الشيعة كتابة: محمد وعلي خير البشر. فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر. فاندلع القتال وتلقى الحنابلة الدعم من الوزير أبي القاسم بن المسلمة (ت450هـ/1058م) فشدّ من أزرهم وضيّق على خصومهم[1]. وعندما تأزم الوضع وكثُر الدمار تدخل الخليفة القائم بأمر الله(422-467هـ/1031-1075م) لإخماد الفتنة فأرسل جماعة من الهاشميين إلى شيعة الكرخ للتفاوض معهم لوقف القتال، لكنها فشلت في مهمتها، وأعطت الحق للشيعة، ثم بعث وفداً آخر من الحنابلة، فلم يوفق هو الآخر في مسعاه، فازداد القتال حدة وانتقل إلى الجانب الشرقي من بغداد[2]. ونهب أهل السنة مشاهد أئمة الشيعة المقدسة وأحرقوا الكثير من قبورهم[3]. فكان رد فعل الشيعة عنيفا، فهدموا قبورا للسنة، وهموا بتدمير قبر الإمام أحمد بن حنبل، فمنعهم نقيبهم خوفا من العواقب التي قد تنجر عن ذلك[4]. ثم هدأ الطرفان على ما يبدو بعد الذي حدث بينهما، لأن أخبار هذه الفتنة انقطعت[5].

ويتبين مما سبق أن الشيعة هم الذين استفزوا السنيين فكفّروهم ولم يحترموا مشاعرهم وعقائدهم عندما قرنوا اسم علي بالنبي(ﷺ) مباشرة وكفروا من لم يرض بذلك وهم يعلمون أن أفضل الناس عند أهل السنة بعد الرسول الخلفاء الأربعة بالترتيب آخرهم علي بن أبي طالب. كما كان الحنابلة طرفا

[1] ابن الأثير: الكامل - ج8، ص:59
[2] ابن الأثير: الكامل - ج8، ص:59
[3] منها مشهد موسى بن جعفر وضريح محمد الجواد. ابن كثير: المصدر السابق - ج12، ص:62
[4] نفسه - ج12، ص:62
[5] أنظر: ابن الأثير: المصدر السابق ج8، ص:59 وابن كثير: المصدر السابق - ج12، ص:62

أساسيا فيما جرى فقد تلقوا الدعم من الوزير واتصل بهم الخليفة -بعد عودة الهاشميين- في سعيه لإصلاح ذات البين وعندما منع نقيب الطالبيين أتباعه من هدم قبر أحمد بن حنبل، كان يعلم أن انتقام الحنابلة وأصحاب الحديث سيكون مدمرا في ظرف وقفت فيه السلطة بجانبهم وفقد فيه الشيعة دعم بني بويه في أواخر أيامهم[1].

وتجددت الحرب بن الطائفتين عام (444هـ/1025م) عندما أعاد الشيعة كتابة: محمد وعلي خير البشر على مساجدهم، وأذنوا بحي على خير العمل، فاندلع القتال وأحرقت الدور وقتل من الجانبين خلق كثير، وتسلط عيار سني يعرف بالقطيعي على الشيعة[2]، فلم يقر لهم معه قرار، فقتل كبارهم جهاراً وغيلة، وكان في غاية البأس والشجاعة والمكر، وهذا من جملة الأقدار[3]. وهنا توقفت أخبار هذه الفتنة فلا تعرف الظروف التي انتهت فيها[4].

وقبيل سقوط دولة بني بويه وقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة عام (445هـ/1053م) حدث فيها اقتتال ودمار[5]، ثم تجددت الحرب بينهما سنة (447هـ/1055م) قتل فيها خلق كثير، ولم تقدر السلطة على الفصل بين الفريقين، ولا تعرف تفاصيل ما جرى في هذه الواقعة[6]. وتعد هذه الفتنة آخر ما وقع بين السنة والشيعة في عهد بني بويه، إذ بعد ذلك بأيام استولى السلطان السلجوقي طغرلبك على بغداد.

---

[1] لم تذكر المصادر المتوفرة أي دعم قدمه بنو بويه للشيعة

[2] كان قد بدأ في أعماله ضدهم عام 443هـ انظر ابن كثير: المصدر السابق- ج12، ص:62

[3] نفس المصدر -ج12، ص:63

[4] بناء على المصادر المتوفرة

[5] ابن كثير: المصدر السابق -ج12، ص:64

[6] نفس المصدر -ج12، ص:66

الفتن الطائفية بين السنة والشيعة ببغداد: (العهد السلجوقي من: 447هـ إلى 500هـ/1055-1106م)

عندما دخل الأتراك السلاحقة بغداد عام (447هـ/1055م) أعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي، ودعموا أهل السنة لأنهم كانوا على مذهبهم. فبعد سنة من دخولهم مدينة السلام، أمر الوزير أبو القاسم بن المسلمة بنصب أعلام سُود[1] في الكرخ، فانزعج الشيعة، ثم طلب منهم ترك الأذان بحي على خير العمل وأن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم مرتين، وأجبرهم على إزالة ما كتبوه على المساجد محمد وعلي خير البشر[2]. ونظّم حنابلة باب البصرة[3]، مسيرة انطلقت من حيهم إلى الكرخ وهم ينشدون قصائد في مدح الصحابة. وأمر الوزير بقتل شيخ الشيعة أبي عبد الله بن الجلاب، فقتل على باب دكانه، لما أظهره من التشيع والغلو فيه، وهرب متكلم الشيعة أبو جعفر الطوسي ونُهبت داره[4]. فبعد سنة من سقوط دولة بني بويه تغيّر حال الشيعة فأجبرهم أهل السنة على ترك الكثير من مظاهر التشيع، وأذلوهم وقتلوا كبيرهم ابن الجلاب لكن محنتهم لم تدم طويلا.

فعندما دخل القائد التركي البساسيري[5] بغداد عام (450هـ/1058م) حاملا الرايات البيض الفاطمية، تلقاه شيعة الكرخ بفرح شديد وطلبوا منه أن يمر بحيهم فمر به وسمح لهم بالأذان في سائر العراق بحي على خير العمل، وأمر الخطباء والمؤذنين بلبس البياض والدعوة للمستنصر الفاطمي[6]. وطرد الخليفة

---

1 السواد شعار العباسيين والبياض شعار الفاطميين والخضرة شعار الشيعة

2 ابن الجوزي: المنتظم –ج8، ص:172

3 انظر ابن كثير: [illegible]

4 ابن كثير: البداية –ج12، ص:69

5 كان من رجال الخليفة القائم، ثم خرج عليه واتصل بالفاطميين. ابن كثير: نفس المصدر –ج12، ص:84

6 ابن كثير: المصدر السابق –ج12، ص:77-78.

القائم إلى خارج بغداد وانتقم من أعيان البلد وأرسل نحو مائتي فارس من جيشه ليعسكروا قرب باب البصرة[1]، مقر الحنابلة الرئيسي ثم أباح لأتباعه أعراض خصومهم وأموالهم فهب شيعة الكرخ إلى حي باب البصرة ونهبوا أكثره انتقاما من الحنابلة[2]. ولم يهدأ بال الشيعة حتى انتقموا من الوزير السني أبي القاسم بن المسلمة فعندما مر بحيهم راكبا جملا[3] لعنوه وسبوه وبصقوا عليه، وضربوه وهو يتلو قوله تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير" سورة آل عمران الآية رقم: 26. وظل ابن المسلمة تحت العذاب حتى توفي وكان آخر كلامه "الحمد لله الذي أحياني سعيدا، وأماتني شهيدا"[4].

والأمر في هذه الفتنة قد خُطّط له على ما يبدو بدقة بين البساسيري وشيعة بغداد، وذلك أنهم فرحوا بقدومه وانتقموا من الوزير السني ومن الحنابلة. فقبل الهجوم عليهم طرد الخليفة المدافع عنهم من بغداد وجيء بمائتي فارس قبالة حي الحنابلة لتخويفهم ومساندة الشيعة عند الحاجة فتمكنوا بذلك من الثأر لأنفسهم من الحنابلة خصمهم اللدود العنيد. لكن تغلب السلطان طغرلبك على البساسيري سنة (451هـ/1059م) خيب آمالهم وأعاد لأهل السنة نفوذهم ببغداد.

وفي سنة (458هـ/1065م) أغلق الشيعة دكاكينهم وأحضروا النساء لإقامة عزاء الحسين يوم عاشوراء، فأنكر عليهم السنيون فعلتهم، وطلب الخليفة

---

[1] ابن الأثير: الكامل- ج9، ص: 641

[2] ابن الجوزي: المصدر السابق - ج8، ص: 192

[3] كان البساسيري قد أركبه الجمل وشهّره بشوارع بغداد ومعه من يهينه. انظر ابن كثير: المصدر السابق- ج12/ 79

[4] انظر: ابن كثير: البداية- ج12، ص: 82- 83

نقيبهم أبا الغنائم فحضر واعتذر لـه بأنـه لم يعلم بما حـدث ثم جاء باقي أعيانهم إلى الديوان للاعتذار، ثم صدر توقيع من دار الخلافة بتكفير من سب الصحابة وأظهر البدع[1]. والتوقيع الذي صدر موجه بلا شك ضد الشيعة لأنهم هم الذين يسبون الصحابة ويكفرونهم، ويظهرون البدع المنكرة، كالنياحة على الحسين وإحياء يوم غدير خم، وهم ربما قصدوا من محاولتهم جس نبض أهل السنة لعلهم يتمكنون من عمل مأتمهم، فلما تصدى لهم السنيون سارعوا للاعتذار عما جرى، وأن سفهاءهم هم الذين أحدثوه.

وتجدد القتال بين شيعة الكرخ وحنابلة باب البصرة ونهر القلائين[2] عام (465هـ/1072م) فقتل من الجانبين خلق كثير، واحترق قسم كبير من الكرخ، فتدخلت السلطة وانتقمت للشيعة من الحنابلة، فأخذت منهم أموالا معتبرة جزاء ما فعلوه بأهل الكرخ[3]. وهنا انقطعت أخبار هذه الفتنة التي لا يُعرف سبب اندلاعها ولا رد فعل الحنابلة تجاه الإجراءات التي أخذت في حقهم، وهي -أي الفتنة- تندرج في سياق النزاع المذهبي المستمر بين الفريقين. وقد بيّنت مدى ضعف جانب الشيعة الذين لم يقدروا على صدّ خصومهم حتى استدعى الأمر تدخل السلطة لأنصافهم والثأر لهم.

وفي ما بين عامي (466-480هـ/1073-1087م) لم أعثر على فتن وقعت بين أهل السنة والشيعة[4]، إما أنها لم تحدث أو أن المؤرخين أغفلوا ذكرها. وفي عام (481هـ/1088م) أشار ابن كثير إلى وقوع فتنة بين الطائفتين، لم يُفصّل حوادثها

[1] نفس المصدر -ج12، ص:93
[2] أشار ابن كثير إلى الحربيين فقط
[3] ابن الجوزي: المنتظم -ج8، ص:177، وابن كثير: المصدر السابق -ج12، ص:106
[4] بناء على المصادر المتوفرة

واكتفى بقوله: «فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد وجرت خطوب كثيرة»[1].

أما في سنة (482هـ/1089م) فشهدت بغداد حرباً مدمرة بين الطائفتين عندما هجم حنابلة باب البصرة على أهل الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر. فرفع سكانه المصاحف وأخذوا ثياب الرجلين ملطخة بالدماء إلى دار الوزير كمال الملك أبي الفتح الدهستاني، واستغاثوا به فتدخل وأصلح بين المتخاصمين[2]، ثم غادر بغداد لاستقبال السلطان ملكشاه. فعاد الطرفان إلى التخاصم، انتهى بهم إلى الاقتتال، عجزت الشرطة عن توقيفه، وفيه جاء الحنابلة بأسد لمحاربة الشيعة، وحدث خراب كبير، وقُتل خلق كثير[3]. وفي ذلك الظرف خرج أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت513هـ/1119م) إلى المسجد وألقى خطبة تحدث فيها عن أوضاع البلد السيئة التي آل إليها، وعن أحوال أهل السنة التي وصلوا إليها ثم أبدى تخوفه وحزنه من ارتفاع راية الشيعة الذين سبّوا الصحابة، والنبي(ﷺ) وأزواجه على مرأى ومسمع من علمائهم[4]. وأمام استمرار الفتنة التي دامت شهوراً أرسل السنيون وفداً فيه الحنبليان ابن عقيل، وأبو الخطاب الكلوذاني (ت515هـ/1121م) إلى الشيعة فقرأ عليهم الوفد منشوراً من الديوان طالبهم فيه بلزوم إتباع السنة. فأذعنوا وكتبوا على مساجدهم خير الناس بعد الرسول(ﷺ) الخلفاء الأربعة بالترتيب: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي(ﷺ)[5]. وعقب ابن كثير على ما فعله الشيعة من سب

---

[1] ابن كثير: البداية -ج12، ص:134

[2] ابن الأثير: الكامل -ج10، ص:170

[3] نفسه -ج10، ص:170

[4] ابن الجوزي: المنتظم -ج9، ص:48-49

[5] ابن الجوزي: المصدر السابق -ج9، ص:49

[6] نفسه -ج9، ص:49

للصحابة بقوله: «وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الإسلام وأهله، ومن العداوة الباطنية الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته»[1]. ولم يتراجع الشيعة عن موقفهم في هذه الفتنة إلا بعدما تأكدوا أن مواصلة الحرب ليس في صالحهم وأنه من الضروري النزول عند رغبة أهل السنة فتظاهر بالموافقة والتراضي عن الخلفاء الأربعة ليستميلوا السنيين وهذه تقية مكشوفة، لا تنطلي على أحد، فمن قبل سبوهم والآن يترضون عنهم.

وتعد فتنة (482هـ/1089م) أخطر الحوادث الدامية وأطولها، التي شهدها النزاع السني الشيعي ببغداد طيلة القرنين الرابع والخامس الهجريين (10-11م)[2]، وتقع مسؤولية تصعيد النزاع على الجانبين، إذ كان كل طرف يسعى جاهداً في إذكاء التعصب المذهبي، واستغلال الفرص المناسبة للانقضاض على الخصم، والانتقام منه، ويأتي الحنابلة في مقدمة أهل السنة حزماً وتشدداً في التصدي للشيعة الإمامية، نظراً لعمق الخلاف المذهبي بين الطائفتين، وإصرار الشيعة على إظهار عقائدهم المخالفة لعقائد أهل السنة، لكن اندفاع الحنابلة لنصرة مذهبهم ونشره، ساهم في نقل النزاع إلى داخل الجماعة السنية ذاتها.

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص:135

[2] قد تكون حدثت فتن أخطر من تلك الفتنة لكن المصادر المتوفرة لم تذكرها فكثيراً ما كان ابن كثير يضرب صفحا عن تفاصيل الفتن. انظر: البداية، ج12، ص:28، 56، و134

ـ الفصل الرابع ـ

الوضع الداخلي للطائفة السنية ببغداد (200-500هـ/815-1106م)

شهدت الجماعة السنية ببغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م) نزاعات داخلية عديدة. غير أنها بقيت محافظة على كيانها وعلى العناصر المكونة لها من حنابلة وشافعية وأحناف وصوفية وأصحاب الحديث طيلة تلك الفترة. فظلت تتمتع بوحدة عقائدية ميزتها عن طوائف البلد. ثم تغير حالها في القرن الخامس الهجري/11م، فانشقت على نفسها، وعرفت نزاعا داخليا عنيفا. وقبل الخوض فيه نشير لجوانب عن دور أهل السنة في الحياة الاجتماعية ببغداد:

قيام أهل السنة بالحسبة في بغداد:

حثت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى: "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" سورة العصر. وقوله (ﷺ): "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[1]، أو كما قال(ﷺ). وانطلاقا من ذلك فإن أهل السنة ببغداد لم يهملوا الحسبة فالإمام أحمد بن حنبل حث على الرد على المذاهب الفاسدة بإقامة الحجة المزيلة الشبهة الكاشفة عن غمة الضلالة[2]. وفضّل المسلم الملتزم بالشعائر التعبدية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على المسلم الذي يؤدي الشعائر التعبدية ويكتفي بها[3]. وجعل القاضي أبو يعلى

---

[1] عن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر البحث المطول الذي كتبه أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين.

[2] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص280

[3] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق، ج2، ص216

القراء (458هـ/1065م) الحسبة من أصول الدين واجبة، على كل مكلف عا
قادر لا يلحقه ضرر[1].

وعندما كثرت الشرور، وعم الفساد ببغداد عام (201هـ/816م) كوّن سـ
بن سلامة جماعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانظم إليها خلق كثـ
من الناس، ورفعت شعار الدعوة إلى الكتاب والسنة، وتمكنت من التصد
للعيارين واللصوص[2]، لكن شوكتها انكسرت عندما تعرضت لجند الخليفة
إبراهيم بن المهدي[3]. ويؤخذ عليها أنها ضمّت في صفوفها كثير من العوا
الأمر الذي صعّب على زعيمها التحكم فيها، كما أنها تعجّلت في أمرها عند
تصدت لجند الخليفة، وهي لا تقوى على ذلك.

وفي أيام محنة خلق القرآن ذاع صيت أحمد بن نصر الخزاع
(ت231هـ/845م)، كأحد أئمة أهل السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنـ
ببغداد، وذلك أنه أخذ على نفسه القيام بالحسبة، فبايعه خلق كثير عـ
التصدي للمفسدين والخروج على الخليفة الواثق لِمَا هو عليه وحاشيته
المعاصي والفواحش، غير أنه لم يُوفّق في مسعاه، حين اكتشفت الدولة أمره[4].

واشتهر أبو محمد البربهاري الحنبلي (ت329هـ/940م) بشدته وقسـ
على المفسدين[5]، فكان على رأس جماعة عرفت به -البربهارية- اقتـ
عناصرها بيوت العوام والخواص، واعترضوا على كل ما يروه مخالفا للشـ

---

[1] أبو يعلى الفراء: المعتمد في أصول الدين، ص:4

[2] ابن الأثير: الكامل، ج6، ص:346

[3] ابن كثير: البداية، ج10، ص: 248

[4] عن تفاصيل الحادثة انظر: ابن كثير: البداية، ج10، ص:303، وما بعدها

[5] ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص:233

يتدخلوا في عمليات البيع والشراء[1]، وإذا رأوا الرجال مع النساء والصبيان وقفوهم للتثبت منهم ومن لم يخبرهم أشبعوه سياطاً وأوصلوه إلى الشرطة، وشهدوا عليه بالفاحشة، وإذا عثروا على نبيذ أراقوه، وإذا التقوا بمغنية شجوها ضرباً وكسروا عودها[2].

وعندما أظهر المقرئ ابن شنبوذ (ت328هـ/939م) سنة (323هـ/934م) قراءة يخالف المصحف العثماني الذي اتفق عليه الصحابة، أنكر عليه فقهاء أهل والسنة، وقضاتهم فعلته، وناظروه بحضور رجال الدولة، فرجع عن موقفه وأعلن توبته وكتب في ذلك محضراً[3]. لكنه عاد إلى ما تاب عنه سنة 324هـ/935م) فتصدى له الحنابلة وأحدثوا ضجة انتهت بالقبض عليه والزج في السجن[4].

وقد تباينت ردود فعل أعيان أهل السنة تجاه المنكرات، فالبربهاري ان حازماً في التصدي لها، وعمر بن الحسين الخرقي (ت334هـ/945م) انتقل دمشق واستقر بها حين كثر الشر بمدينة السلام، وشاع فيها سب صحابة[5]. وابن بطة العكبري (387هـ/997م) أخذ على نفسه تغيير أي منكر راه[6]. والشريف أبو جعفر (ت470هـ/1077م) كان حريصاً على التصدي مفسدين، ولا تأخذه في الله لومة لائم[7]. وأخذ فقيه سني على نفسه عدم

الأثير: الكامل -ج6، ص:248

-ج6، ص:248

بكر الصولي: المصدر السابق -ص:39

المصدر -ص:85

كثير: البداية -ج11، ص:214

الجوزي: المنتظم -ج7، ص:194

كثير: المصدر السابق -ج12، ص:119

الاقتراب من حي الكرخ ما دام حيا وذلك أنه سمع به ذات يوم ذم الصحابة والتعريض بهم[1]. وأبو بكر الخلال (ت 311هـ/923م) هجر بيته عندما ظهر سب السلف ببغداد[2].

وفي أحد الأيام من عام (461هـ/1068م) مرّ ابن سكرة الهاشمي بقوم وهم في حالة سكر، ومعهم آلات الطرب فأراق خمرهم وكسر آلاتهم. فاشتكوا الخليفة القائم بأمر الله، وأخبروه أن ابن سكرة هجم على بيوتهم وانتهك حرمتها، وأنكروا وجود الخمر معهم. فطلب الخليفة ابن سكرة ليستفسر فاعلمه بما جرى، واعترف بإتلاف ما كان بحوزة هؤلاء[3]. ثم وقع خلاف بين الفقهاء في تعويض ما كسره. فوقف ابن الصباغ الشافعي، بجانب المشتكين وأوجب التعويض مع التأديب[4]. وأفتى الحنبليان: أبو محمد التميمي (ت488هـ/1095م) وابن البناء (ت471هـ/1078م) بإسقاط التعويض، ووافقهما أبو إسحاق الشيرازي الشافعي[*] (ت476هـ/1083م)، ويذكر أن أبو يعلي الفراء قد أفتى في كتابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجواز كسر آلات اللهو وإتلافها بدون ضمان، كما أجاز للمحتسب أن ينكر في البيوت كوجود الخمر في بيت المسلم[5]. وما فعله ابن سكرة تؤيده نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لأنه غير منكرا بيده قدر عليه.

---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة –ج2، ص:169

[2] نفس المصدر – ج2، ص216

[3] George Makaisi: op cit-2eme Partie-Vol: XIX-1957-P: 281

[4] IBID-2eme partie-Vol: XIX-1957-P:282

[*] IDEM-2eme partie-Vol: XIX-1957-P:282

IBID-2eme partie-Vol: XIX-1957-P:282

[5] عبد القادر أبو فارس: القاضي أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية ص:187-188

وذات يوم توجه أعيان من أهل السنة منهم ابن سكرة وتبعهم خلق كثير من العامة إلى سفينة بها ستمائة جرة خمر، لصاحبها القائد التركي البساسيري فأراقوا ما بداخلها، ثم أتلفوها[1]. والتقى أبو سعد البقال (ت506هـ/1112م) بجارية مغنية تحمل عوداً عام (464هـ/1071م) فأخذه منها وقطع أوتاره. فعادت إلى سيدها الأمير التركي وأخبرته بما جرى لها فأمر بحصار بيت أبي سعد البقال وتفتيشه. فهرب صاحبه والتجأ إلى رئيس الحنابلة الشريف أبي جعفر (471هـ/1077م) وحدثه بما وقع له[2]. فاجتمع الحنابلة في جامع القصر للتشاور في أمر صاحبهم، ثم التحق بهم كبار فقهاء الشافعية كأبي إسحاق الشيرازي الفيروز أبادى (ت476هـ/1083م)، وكتبوا مذكرة احتجاج إلى الخليفة القائم بأمر الله، وطالبوه فيها بإزالة المواخير، وتتبع المفسدات، فوافق على مطالبهم، ووعدهم بوضع حد للمواخير مستقبلا، فهربت المومسات، وأريقت الخمور، لكن الشيرازي لم يقتنع بالوعد، وتظاهر بمغادرة بغداد، فبعث إليه الخليفة رسالة سكنته[3].

وحمّل الباحث بدري فهد الحنابلة مسؤولية عدم ظهور مؤرخين موسيقيين لامعين، في القرن الخامس الهجري/11م كأبي الفرج الأصفهاني، مؤلف كتاب الأغاني[4]، لأنهم كانوا يطاردون أهل الطرب ويتعرضون لهم في بيوتهم، فحال ذلك دون وجود من يؤرخ للمغنين[5]، لكن مجالس الغناء ظلت

---

[1] ابن الأثير: كامل -ج9، ص:608

[2] ابن الجوزي: المنتظم -ج8، ص:272

[3] ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة -ج1، ص:24

[4] من أشهر كتب تراث الموسيقة العربية فيه أخبار الموسيقيين والمغنين، محمد ماهر حمادة: المصادر العربية والمعربة- بيروت-مؤسسة الرسالة، ص:229

[5] بدري فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري-بغداد-مطبعة الإرشاد-1957-ص:220

عامرة. إذ يقال أن عدد المغنين ببغداد بلغ في وقت من الأوقات ستمائة وخمسة وسبعين مغنيا من المحترفين والمحترفات، معظمهم من النساء[1]. وقد لعب بنو بويه دورا كبيرا في ازدهار الموسيقى، ولم يكترثوا بالمعارضة الحنبلية[2].

وقد اشتد الجدال بين فقهاء بغداد في حكم الغناء بين مؤيد ورافض ومتحرج منه[3]، فأفتى الإمام أحمد بن حنبل بتحريمه، وشدد فيه وأمر بكسر آلاته[4]، وجوّز حداء الأعراب[5]، وقال: "لا بأس به لأن بعض الصحابة حدا"[6]. فجاء الحنابلة من بعده، وأخذوا برأيه في التصدّي لأهل الطرب، وألف القاضي أبو يعلى كتاب ذمّ الغناء[7] فكان سندا لهم. وعدّ هنري جورج فارمر أبا حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) من بين المدافعين عن الموسيقى، لكن حقيقة موقفه -أي الغزالي- أنه لم يحرم الغناء مطلقا ولم يبحه كلية فتناول في كتاب إحياء علوم الدين المسألة من كل جوانبها بتوسع وعرض وجهات المؤيدين للغناء والمعارضين له و انتهى إلى وضع شروط لإباحة السماع الجائز[8].

وعندما سمع الشريف أبو جعفر بنهب دار أحد جيرانه غضب وتدخل بقوة وأحضر قاضي القضاة وبعض الهاشميين للتحقيق فيما حدث فتبين أن

---

[1] ظافر القاسمي: الحياة الاجتماعية عند العرب -ط2، بيروت- دار النفائس-1981-ص:76

[2] هنري جورج فارمر: تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن 13 الميلادي-بيروت-منشورات مكتبة الحياة-بدون تاريخ – ص:262

[3] أنظر: ظافر القاسمي: المرجع السابق-ص:77

[4] أبو حسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة -ج2، ص:276

[5] هو نوع من الغناء يتغنى به الأعراب في أسفارهم وحتى في منازلهم ظافر القاسمي: المرجع السابق-ص:102

[6] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق -ج2، ص:279

[7] نفس المصدر ج2، ص:205

[8] أنظر: مج2، ج6، ص:58، طبعة دار الكتاب العربي بدون تاريخ

نقيب الهاشميين[1] هو الذي أمر بالسطو على بيت الرجل فردت الممتلكات لصاحبها وعوض له ما تلف منها وتم الصلح بين الحاضرين وشكروا لأبي جعفر صنيعه[2]. ولم يذكر ابن البناء الحنبلي -رواي الخبر- سبب إقدام الهاشميين على نهب دار الرجل[3].

ويتبين مما سبق أن أهل السنة كان نشاطهم في مجال الحسبة مسايراً لمبادئ مذهبهم في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن الحنابلة منهم بالغوا أحياناً في استخدام العنف وهو مالا يتفق مع سلوك الإمام أحمد بن حنبل وإن وجدوا في أقواله ما يبرر بعض أفعالهم عندما أمر بكسر آلات الموسيقى وهذا يندرج في سياق تغيير المنكر باليد عند الاستطاعة. ولم يقتصر دور هؤلاء على القيام بالحسبة وإنما امتد إلى فعل الخيرات والإحسان إلى الناس.

أهل السنة والاعمال الخيرية ببغداد:

أشتهر كثير من أعيان أهل السنة بفعل الخيرات، والتودد إلى الناس، وقضاء حوائجهم، سيراً على منهج السلف في حب الخير للناس، والدعوة إليه، قال تعالى: "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" سورة الحج الآية رقم: 77، وقال: "...وأوحينا إليهم فعل الخيرات" سورة الأنبياء الآية رقم 73. فكان الإمام أحمد كثير الرفق بالمسلمين والتصدق عليهم، فإذا وقع في يده مال أسرع في توزيعه على الفقراء ولا يدخره، من ذلك أن الخليفة المتوكل أرسل إليه مائة

---

[1] نفسه

[2] George Makdisi: op-cit 1ere partie- Vol:XVIII-1957-PP:241-242

[3] IDEM-1ere partie-Vol:XVIII-1957-PP:241-242

ألف درهم، فرفض قبولها، وبعد إلحاح شديد أخذها، ثم استدعى أهله ليلا لمساعدته في كتابة أسماء المحتاجين من أصحاب الحديث وغيرهم من الفقرا، وفي الصباح فرقها على هؤلاء ما بين الخمسين والمائة، والمائتين، وتصدق بالكيس الذي كان فيه المبلغ، ولم يعط لأهله شيئا رغم حاجتهم إليه[1]. وعرف الصوق التاجر سرى السقطي (ت253هـ/867م) بفعل الخيرات وقضاء حوائج الناس، والإنفاق عليهم من ماله، وجبر قلوبهم، من ذلك أن جارية انكسر إناؤها، ومرت به باكية خوفا من سيدها، فاستوقفها وسألها عن أمرها ثم أعطاها مالا لتشتري به إناءً آخر[2].

وذاع صيت أبي منصور بن يوسف (ت460هـ/1067م) بالكرم والسخاء، وتفقد المحتاجين، مع دوام البر والصدقة[3]، فوصلت عطاياه إلى الزهاد، والقصاص، والوعاظ، والأشراف، والأعراب، والتركمان ورواد الأسواق[4]، وكان يجتهد في تتبع المستورين لإعانتهم مع إخفاء ما يقدمه لهم[5]، ويعظم من يقصده في حاجة بلا كبر ولا منة[6]. ومن أعماله الخيرية ذات النفع العام إشرافه على مستشفى المدينة، فأعاد تنظيمه وجهزه بالوسائل اللازمة، ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيبا، وابتاع له أملاكا نفيسة[7]، وبفضل أفعاله الخيرية، كسب قلوب

---

[1] ابن كثير: البداية-ج10، ص:33

[2] نفس المصدر - ج11، ص:13

[3] ابن الجوزي: المنتظم-ج8، ص:250

[4] نفس المصدر - ج8، ص:251

[5] ابن كثير: المصدر السابق - ج12، ص:97

[6] ابن الجوزي: المصدر السابق-ج8، ص:251

[7] نفسه-ج8، ص:251

الناس، وعُرف بينهم بالشيخ الأجل[1]، وعندما توفي عام (460هـ/1067م) أوقفوا نشاطهم اليومي لتشييع جنازته[2].

وعُرف أبو القاسم بن رضوان (474هـ/1081م) بكثرة إحسانه إلى أهل بغداد والتودد إليهم، فكان يعطي أحد المحتاجين عشرة دنانير يوميا[3]. وفرق يوم مرضه (من عام 461هـ/1068م) على الفقراء اثنين وعشرين بقرة ومائتي ألف وثلاثمائة درهم، وعشرة آلاف رطل من الخبز، وكثير من الثياب والجباب الصوفية والعمائم[4].

وكان محمد بن جردة (ت476هـ/1083م) صهر أبي منصور بن يوسف[5]، أحد رؤساء بغداد وأغنيائها، وصاحب تجاره ومروءة[6]. كثير الإحسان إلى الناس، فتصدّق في شهر رمضان من عام (456هـ/1064م) على مائتي مسكين فسلم لكل واحد منهم، قميصين ودرهمين، فلما كثروا حوله خاف على نفسه، فرمى ما بيده وهرب[7]، وبنى مساجد عديدة ببغداد، منها اثنان ملتصقان بداره الواسعة[8]، وآخر عُرف به بنهر المعلى بالجانب الشرقي من بغداد[9].

واهتم أبو منصور الخياط الحنبلي (ت498هـ/1104م) بتعليم العميان، وتربيتهم فيلقنهم القرآن الكريم، وينفق عليهم من ماله لوجه الله[10]، لمدة أكثر

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:97

[2] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج12، ص:251

[3] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:97

[4] George Makdisi: op-cit 1ere partie- Vol:XIX-1957-P:17

[5] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج9، ص:9

[6] ابن كثير: المصدر السابق – ج12، ص:126

[7] ابن الجوزي: المصدر السابق – ج9، ص:9-10

[8] ابن كثير: البداية – ج12، ص:126

[9] ابن الجوزي: المنتظم – ج9، ص:10

[10] ابن رجب الحنبلي: الذيل على طبقات الحنابلة – ج1، ص:119

من ستين عاما فقيل أن عددهم بلغ سبعين ألف ضرير[1]. وخطأ ابن رجب وابن العماد الحنبلي من أدعى أن راوي الخبر ربما غلط في تقدير العدد، وإنما قصد سبعين نفسا، ثم قررا أن رقم سبعين ألف صحيح، لأن أبا منصور مارس التعليم أكثر من ستين عاما، فكيف يبلغ من أخذ عنه القرآن سبعون نفسا في تلك المدة[2]؟!

وهذا اعتراض وجيه فلا يعقل أن يأخذ عنه سبعون شخصا في أكثر من ستين عاما، لكن عدد سبعين ألف مبالغ فيه جدا، فهل يقدر أبو منصور بإمكانياته الفردية تعليم ما يزيد عن الألف كل عام، لمدة لا تقل عن ستين سنة مع رعايتهم والإنفاق عليهم؟ طبعا لا يستطيع لكن لا شك أنه علم من هؤلاء العدد الكبير.

وبفضل قيام أهل السنة بالأعمال الخيرية سيراً على نهج السلف الصالح، تمكنوا من تثبيت نفوذهم ببغداد، ومن اكتساب قلوب الناس وبث فيهم روح التضامن الاجتماعي، ورفع مستواهم العلمي والتربوي. ورغم اجتهادهم في إحياء شعائر الإسلام كالحسبة والإحسان إلى الناس فإنهم تأثروا بمنكرات انتشرت بمدينة السلام.

أهل السنة وبناء المشاهد والأضرحة ببغداد:

المشاهد والأضرحة هي تلك البناءات التي تشيّد على القبور، وعادة ما تتخذ مساجد، أو أماكن للتقرب إلى الله تقليداً للنصارى الذين عُرف عنهم اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم معابد، يتقربون بها إلى الله -عز وجل-[3].

---

[1] نفسه ج1، ص:119، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب -مج2، ج3، ص:407.

[2] نفسه -ج1، ص:119، ونفسه -مج2، ج3، ص:407.

[3] محمد القيسي: المساجد بين الأتباع والابتداع -ط1- الجزائر -دار القلم- ص:24.

ويذكر أن الخليفة العباسي المنتصر (247–248هـ/861–862م) هو أول من أقام ضريحا له بسامراء، ولم تعرف المقامات والأضرحة في صدر الإسلام وإنما كثرت في عهد دولة بني بويه[1]. وتعد الشيعة الأمامية أكثر طوائف بغداد. اهتماما بالمشاهد وتقديسا لها، فيزورونها ويصلون عندها. ويذكرون لها من الأجر ما لم يذكر في الحج إلى بيت الله الحرام[2]. وأشهر مشاهدهم ببغداد. مشهد موسى الكاظم ومحمد الجواد. وأقدسها عندهم مشهد علي بن أبي طالب(ﷺ) إذ يدّعون أن قبره يوجد بالنجف –جنوب بغداد– مخالفين بذلك ما قرره غالبية المؤرخين المحققين، من أن عليا دفن بالكوفة[3]. أما أهل السنة فكانوا أكثر الفرق التزاما بالسنة النبوية. وأقلها تأثرا بالمظاهر الشركية. فالحنابلة أنكروا على الشيعة زيارة مقاماتهم وإحياء يوم عاشوراء، ويوم غدير خم[4]. وعندما تقدّم الخليفة المطيع الله (334–363هـ/946–974م) بمال خصصه لإقامة بناء كبير على قبر الإمام أحمد بن حنبل اعترضوا عليه ونصحه عبد العزيز بن الحارث التميمي (ت371هـ/981م)، بالتصدق بذلك المال وبيّن له أن ذلك العمل يتنافى مع مذهب أحمد بن حنبل[5]. فالحنابلة رغم حبهم لإمامهم فإنهم رفضوا تشييد البناء على قبره ولم يجاروا طوائف البلد الأخرى في إنشاء المقامات والأضرحة.

---

[1] محمد القبيسي: المرجع السابق –ص:46.

[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى –ج4، ص:517.

[3] منهم الطبري، والواقدي، والخطيب البغدادي، وابن كثير فذكر هؤلاء أن عليا دفن بدار الإمارة بالكوفة خوفا من أن تنبشه الخوارج وما يعتقده الشيعة من أن قبره بالنجف فلا دليل عليه (ابن كثير: البداية –ج7، ص:330–331) وبعد أكثر من 300 سنة قيل أن قبره بالنجف بدر الدين الحنبلي: مختصر فتاوى ابن تيمية–ص:207–208).

[4] عن ذلك راجع الفصل الثالث.

[5] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة –ج2، ص: 251

لكن عناصر أخرى من أهل السنة، تسللت إليهم تلك المظاهر الشركية، فالأحناف أقاموا قبة على قبر الإمام أبي حنيفة، جددها الوزير شرف الملك عام (453هـ/1061م)[1]، وبنى على القبر مشهدا وبإزاته مدرسة عام (459هـ/1066م)[2]. والصوفية هم كذلك ولعوا بتشييد البناءات على قبور شيوخهم منها مسجد على قبر معروف الكرخي بمقبرة باب الدير بالجانب الغربي من بغداد[3] وضريح وجامع شيخ الصوفية الجنيد بن محمد (ت298هـ/910م) وبعد القرن الخامس الهجري/11م كثرت مشاهد الصوفية ببغداد، منها مسجد وضريح عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1165م)، وضريح وجامع عمر السهروردي (ت622هـ/1213م)[4].

ومن المظاهر التي انتشرت في بغداد الإكثار من قراءة القرآن على الموتى بالمقابر، إذ كان العوام يقضون الليالي الطوال عند القبر للقراءة على الميت، من ذلك أنه لما توفي الشريف أبو جعفر الحنبلي عام (470هـ/1077م) جعلت العامة قبره سوقا يترددون إليه ليلة كل أربعاء، لقراءة الختمات عليه، وظل هؤلاء ملازمين ذلك حتى داهمهم فصل الشتاء، فتوقفوا، وقيل أن جملة ما أهدي له من القراءة عشرة آلاف ختمة[5]، وفي رواية لأبي الحسين بن أبي يعلى، أن الناس لزموا قبره ليلا ونهاراً مدة طويلة للقراءة عليه[6]. وما فعله هؤلاء مكروه في الشرع لم تأت به سنة النبي (ﷺ)، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه فعل

[1] ابن الجوزي، المنتظم - ج9، ص:245

[2] ابن كثير: المصدر السابق - ج12، ص:95

[3] عبد الوهاب عبد الرزاق مرزوق: العراق بلد التراث والمقدسات الإسلامية- مطبعة وزارة الأوقاف - العراق - ص:34

[4] نفس المرجع - ص:27، وما بعدها

[5] ابن كثير: البداية - ج12، ص:119

[6] طبقات الحنابلة - ج2، ص:241

مثل ذلك[1]. أما تعظيم المقامات، والأضرحة، والتمسّح بها والمكوث عندها، فهو عمل يصد عن سبيل الله، ويورث الشرك في النفوس، ويؤدي إلى تبذير الأموال، ويزاحم حب الأماكن المقدسة -شعائر الحج- في قلوب المسلمين، وينتهي بصاحبه إلى تقديس الموتى والأضرحة والمشاهد.

وفيما يخص الحكم الشرعي في بناء المساجد على القبور فقد ثبت عن الرسول (ﷺ) أنه قال: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنني أنهاكم عن ذلك»[2] رواه مسلم والطبراني في الكبير.

وذكر ابن تيميه أن جمهور العلماء، وأئمة المسلمين على اتفاق بأن زيارة المشاهد غير مشروعة، بل هي من أشنع المعاصي[3]، وما روى من أخبار في زيارتها فهي من وضع الزنادقة والمنافقين للصد عن سبيل الله[1]. وأشار إلى أنه اطّلع على كتاب لعالم الشيعة، المفيد سماه الحج إلى المشاهد، أورد فيه آثارا عن النبي (ﷺ) وأهل البيت ما لم يُذكر مثله في الحج إلى بيت الله الحرام، وهي أخبار من أفضح الكذب، وفي كتابه من البهتان أكثر مما يوجد في كتب اليهود والنصارى[4].

ويتبين مما سبق أن الجماعة السنية تأثرت بالشيعة في بناء المقامات والأضرحة، وتقديسها عندما انحرفت عن الإسلام، وما النزاع الذي دب في صفوفها واشتد في القرن الخامس الهجري(11م)، إلا ثمرة البعد عن صراط الله المستقيم

[1] ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، ص: 458.
[2] بدر الدين الحنبلي: مختصر فتاوى ابن تيمية، ص: 515.
[3] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج4، ص: 517.
[4] نفسه، ج4، ص: 517.

النزاع داخل الجماعة السنية ببغداد: (200-500هـ/815-1106م)

كثر الخلاف منذ صدر الإسلام، بين العلماء، في مسائل الفقه وأصوله[1]، وفي مختلف قضايا العلوم الأخرى، فكان ذلك عامل إثراء لها، وبمرور الزمن تحولت الآراء، وأصول الاستنباط والقضايا العلمية والفتاوى إلى مذاهب فكرية، ومواقف سلوكية، ساهمت في حدوث جفاء، ونزاع بين عناصر أهل السنة منذ القرن الثالث الهجري(9م)، ثم انتهى الأمر في القرنين الرابع والخامس الهجريين(10-11م) إلى انشقاق ونزاع عنيف داخل الجماعة السنية ذاتها.

فالإمام أحمد بن حنبل، أنكر على الصوفية منهاجهم، وموضوعاتهم، فأخذ عليهم الخوض في الخطرات والوساوس، وكان يقول: الكتاب العزيز والسنة الشريفة هو المأثور[2]، ونهى عن حضور مجالس الحارث المحاسبي (ت243هـ/857م) التي كان يعقدها مع أصحابه المتصوفة[3]، وذمه وحذر منه، وقال فيه: الآفة من حارث[4]، وأخذ عليه كذلك إشتغالة بالكلام، وموافقته لابن كلاب في منهاجه للرد على المتكلمين وفي اعتقاده أن الله -عز وجل- لا يتكلم بمشيئته[5].

ولم يتخذ أحمد بن حنبل موقفه الحازم من المحاسبي وجماعته، إلا بعد إدراكه انحراف هؤلاء في منهاجهم التربوي، حيث الاعتماد على الوجدان، والمنامات، والأحوال الغريبة، وعدم التقيد بالشريعة في كل

[1] في ذلك راجع: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي
[2] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة -ج2، ص:279
[3] ابن كثير: البداية -ج10، ص:330
[4] الهجويري: كشف المحجوب-ص:268 وما بعدها
[5] ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى -ج3، ص:74

حياتهم، ومثال ذلك أن أبا حمزة الصوفي سمع ديكا يصيح فقال: لبيك، لبيك، وسمع صوت شاة فقال: لبيك، لبيك يا سيدي، فغضب عليه صاحبه الحارث المحاسبي، ونهض إليه بسكين ليقتله ثم هدده إن لم يتب ليقتله[1]. ومهما قيل في تأويل ما صدر عن أبي حمزة، فهو كلام باطل، وساقط، ومستهجن، يتعارض مع الشريعة الإسلامية، التي تحكم على الناس من خلال ظواهرهم، وتترك بواطنهم لعلام الغيوب(ﷻ).

وقد أورثت خصومة الإمام أحمد، للحارث المحاسبي ورفاقه عداوة بين الحنابلة وأصحاب الحديث من جهة والمتصوفة من جهة أخرى انعكست آثارها على الطائفتين فيما بعد.

أ) - النزاع بين أهل الحديث والمتصوفة ببغداد:

أدى الخصام بين الجماعتين إلى حدوث نزاع في واقعتين شهيرتين هما: محنة الصوفية مع غلام الخليل، وقضية الحلاج، اللتان جعلتا البعض يعتقد أن الحنابلة كانوا من وراء ما أصاب الصوفية في الحادثة الأولى، ومن بين العناصر النشطة والمؤثرة في المسألة الثانية.

وذلك أن الواعظ غلام الخليل (ت275هـ/888م) كان شديد البغض للصوفية وله نفوذ قوي على العامة والخليفة المعتمد (256-279هـ/870-892م) ووالدته، وعلى محتسب بغداد الطائع لأوامره[2]. فاستغل مكانته في المجتمع لمطاردة الصوفية، والتشنيع عليهم، فاتهمهم أفرادا وجماعات بالزنا والزندقة[3].

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص:16

[2] غلام الخليل على الخليفة ومحتسب بغداد عن طريق والدة الخليفة إذا كان له عندها مكانة كبيرة وكانت قد ... من المحتسب طاعة غلام الخليل الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص:283-284

[3] الهجويري: كشف المحجوب، ص:421

ورفع أمر جماعة منهم إلى المعتمد عام (262هـ/875م) رماها بالمروق عن الدين. ومن بين المتهمين أبو الحسن النوري (ت295هـ/907م) والجنيد (ت298هـ/910م) وقال للخليفة: أن هؤلاء رؤساء الزنادقة فإذا قتلتهم تلاشت الزندقة ولك أجر كبير، فأمر بقتلهم غير أن السياف تحدث مع أبي الحسن النوري، فأعجب به، وأخبر الخليفة بأمره، فطلب منه نقل الصوفية إلى قاضي القضاة فتأثر بهم هو الآخر وقال: «إذا كان هؤلاء ملاحدة فلا يوجد على الأرض موحد»[1]. ثم ردهم إلى المعتمد فناقشهم وعفا عنهم[2]. ولم يوقف غلام الخليل مطاردته للصوفية، والوشاية بهم، فاتهم منهم سبعين شخصا، بالزيغ، والضلال، وشكا أمرهم إلى االسلطة[3]. ورفع أمر أبي الحسن النوري إلى الخليفة عندما سمعه يقول: "أنا أعشق الله وهو يعشقني"[4]. فاختفى عامة المتصوفة وحُبس بعضهم وخلصت العامة جماعة منهم[5]. وقُتل أفراد من المتهمين[6]. وضرب أبو الحسن النورى من بغداد وغاب عنها سنوات ثم عاد إليها[7]. وقد حمّل أبو العلاء عفيفي، وأحمد أمين، الحنابلة مسؤولية ما حدث للصوفية في هذه المحنة، بحكم العداء الموروث بين الإمام أحمد والصوفية[8]. وعدّ حسين

---

[1] نفسه -ص:421

[2] الذهبي: المصدر السابق -ج13، ص:284

[3] السراج الطوسي: اللمع في التصوف تحقيق عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور -مصر- دار الكتب الحديثة- 1960 -ص:492

[4] الذهبي: المصدر السابق -ج13، ص:284

[5] لم تذكر المصادر قتل جماعة من الصوفية لكن أحمد أمين أشار إلى ذلك في كتابه ظهر الإسلام -ط3، مكتبة النهضة مصر-19626 ج1، ص:228

[6] أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء -بيروت- دار الكتاب العربي-1967- ج10، ص:249

[7] أنظر: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص:106، وظهر الإسلام - ج1، ص:228

القوتلي[1] وهنري لاوست[2]، ومحمود صبحي[3]، غلام الخليل من الحنابلة. لكن الملاحظ على هؤلاء الباحثين، أنهم اعتمدوا في ما ذهبوا إليه على الاستنتاج والترجيح، ولم يعتمدوا على مصادر تاريخية صرّحت بما انتهوا إليه. كما أن الحنابلة لم يُترجموا لغلام الخليل في طبقاتهم[4]. والمؤرخون الذين ذكروه في كتبهم، كالخطيب البغدادي (ت462هـ/1059م)، وابن الجوزي (ت597هـ/1200م)، والذهبي (ت746هـ/1354م)، وابن كثير (ت774هـ/1372م)، أوردوا عنه أخباراً ولم يشيروا لحنبليته[5]. والصوفية الذين تطرقوا لمحنة الصوفية في مؤلفاتهم، كأبي نعيم الأصفهاني، والهجويري، والسراج الطوسي، حمّلوا غلام الخليل مسؤوليتها، ولم يرووا ما يوحي بدور الحنابلة فيها[6]. وأشار ابن تيمية إلى أن غلام الخليل كان من بين الذين ذكروا عن الإمام أحمد أخباراً[7].

ويتضح مما سبق أن غلام الخليل لم يكن حنبليا وإنما هو من أصحاب الحديث على مذهب السلف[8] عاش في وسط أهل الأثر والحنابلة، عُرف بينهم بالزهد والصلاح، وإن اتهمه بعضهم بالكذب ووضع الأحاديث[9]. وهو الذي

---

[1] الحارث المحاسبي: العقل وفهم القرآن-مقدمة المحقق-ص:48

[2] انظر: LA Profission de foi D'Ibne batta P:LVIII

[3] انظر في علم الكلام - ج2، ص:35

[4] راجع طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى

[5] انظر: تاريخ بغداد: ج5/78-79 والمنتظم، ج5، ص:95، وتلبيس إبليس، ص:172، وسير أعلام النبلاء، ج13، ص:284، وميزان الاعتدال ج3، ص:336، والبداية ج11، ص:54

[6] انظر: حلية الأولياء ج10، ص:249 وكشف المحجوب ص:339، واللمع في التصوف، ص:500

[7] ابن تيمية: مجموع الفتاوى - ج5، ص:381

[8] الذهبي: سير أعلام النبلاء - ج13، ص:284

[9] قال عنه أبو داود السجستاني: إذا كان صاحب الزنج كذاب البصرة فاخشى أن يكون غلام الخليل كذاب بغداد. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد - ج5، ص:78-79، وابن كثير: البداية: ج11، ص:54

يتحمل مسؤولية ما حدث للصوفية. أما القول بأن الحنابلة كانوا من وراء ما أصاب هؤلاء، فليس من الصواب الجزم به. ويبقى احتمال مساهمة بعضهم في المحنة وارداً، بطريقة أو أخرى، بحكم عدائهم للتصوف وقرب غلام الخليل منهم.

ويؤخذ على أبي الحسن النوري استفزازه لأهل الحديث عندما كان يقول: "أنا أعشق الله، وهو يعشقني". وقد يقال أنه هذا القول هو معنى قوله تعالى: «يحبهم ويحبونه» سورة المائدة الآية رقم: 54 ويُرد على ذلك أن لفظ العشق لم يرد في الشرع فيما يخص ذات الخالق(ﷻ) وهو مُستهجن في حق الباري، لكن الصوفية ذلك هو ديدنهم، مولعون بالإعتماد على وجدانهم في تعابيرهم، ولا يلتزمون بالألفاظ الشرعية. فالآية تقول "يحبهم ويحبونه" وأحدهم يقول: "أنا أعشق الله، وهو يعشقني" ويعتقد القاضي أبو يعلى الفراء، عدم جواز عشق الذات الإلهية، خلافا للصوفية الحلولية في قولهم أنها تُعشق، لأن العشق توقان النفس إلى المعشوق، وميله إلى الاستمتاع به، والله ليس بجسم ولا جوهر ولا يجوز عليه الاستمتاع[1].

أما قضية الحلاج، فموجزها أن الفقهاء أنكروا على أبي منصور الحلاج، ادعاءه النبوة والألوهية والحلول، في كتاب ألفه[2]. فأدخل السجن عام (301هـ/913م) وبقيت قضيته مثارة حتى عام (309هـ/921م) حيث عُقد له مجلس بإذن من الخليفة المقتدر حضره وزراء وقضاة وفقهاء على رأسهم القاضي أبي عمر المالكي، فانتهت محاكمته بإصدار حكم الإعدام في حقه

[1] أبو يعلى الفراء: المعتمد في أصول الدين ص:76.

[2] ابن كثير: البداية ج11، ص:139

بموافقة جميع الحاضرين[1]. ويوم قتله تجمع الناس لمشاهدته، وكان كثير منهم قد افتتن به[2]. وفي شأن هذه الحادثة يرى المستشرق لويس ماسينيون أن الحنابلة تظاهروا في شوارع بغداد، قبل مقتل الحلاج، ضد الوزير حامد بن العباس (ت311هـ/923م) لسوء سياسته المالية، ولإنقاذ الحلاج، بتحريض من رفيقه أبي العباس بن عطاء (ت309هـ/921م)[3]، الذي أخفى نواياه على المتظاهرين[4]. غير أن الوزير علي بن عيسى (ت335هـ/946م) وصديقه الطبري (ت310هـ/922م) رفضا اللجوء إلى الشغب، والفتنة لتخليص الحلاج، فانقلب الحنابلة على الطبري[5] وحاصروا بيته[6]. وتعصبوا للحلاج ووقفوا بجانبه ونظموا تجمعات شعبية يوم مقتله[7].

واتفق سامي النشار، مع ماسنيون، في القول بأن الحنابلة وقفوا بجانب الحلاج ودافعوا عنه[8]. في حين يرى محمد شعبان أن الوزير حامد بن العباس، لما حار في أمر الحلاج سجنه ثماني سنوات، لكن الحنابلة لم يوافقوه على حبسه، وطالبوا بقتله، ليتناسب العقاب مع جرمه، وعندما تنامت قوتهم، عمد إلى إرضائهم فأعدم الحلاج بعد محاكمة شكلية[9]. ويعتقد رينولد نيكلسون

---

[1] نفس المصدر -ج11، ص:141

[2] مسكويه: تجارب الأمم -ج1، ص:81

[3] كان صديقا للحلاج وهو من أشتبه عليه أمر الحلاج فوافقه على بعض إعتقاده ابن كثير: المصدر السابق -ج11، ص:144

[4] عبد الرحمان بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام -ص:76

[5] يعود الخلاف بين الطبري والحنابلة قبل ذلك بسنوات وعن ذلك انظر ما بعد من هذا الفصل

[6] عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق -ص:76

[7] Louis Massignon: La passion de hallaj martye mystique de l'islam-paris Bibliothéque des ides-1975-p: 285

[8] سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام -ج1، ص:613

[9] محمد شعبان: الدولة العباسية -ط1- بيروت- الأهلية للنشر والتوزيع- 1986 -ص:175

أن أهل السنة هم الذين قتلوا الحلاج، خوفا من استفحال أمره وازدياد نفوذه[1]. وعدّ عبد الباقر سرور ولويس ماسينيون، ابن عطاء الله الآدمي المناصر للحلاج من الحنابلة[2]، وجعله الأول من أبرز علمائهم[3]، وأكبر رأس فيهم[4].

ويرجع اختلاف آراء هؤلاء الباحثين في تحديد دور الحنابلة في قضية الحلاج، إلى سكوت المصادر عن التصريح بأي نشاط لهم في تلك المسألة[5] فالتجأوا إلى التخمين والاستنتاج والترجيح[6]. أما عن ابن عطاء الله الصوفي فلم يكن من الحنابلة[7]، ومن الخطأ القول أنه من علمائهم وأكبر رأس فيهم[8]. فهم لم يُترجموا له في طبقاتهم، ومن الثابت أن رئيسهم آنذاك هو أبو محمد البربهاري[9] (ت329هـ/940م)[10].

وربما احتشد الحنابلة يوم مقتل الحلاج كغيرهم من العوام الذين تجمعوا لمشاهدته[11]. أما القول بأنهم نظّموا التجمعات الشعبية لتأيد الحلاج فلا دليل

---

[1] رينولد نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه- ترجمة أبي العلاء عفيفي - القاهرة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر -1956-ص:130

[2] عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق -ص:76، وعبد الباقي سرور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي-ط1، القاهرة -مكتبة العلمية-1967-ص:142

[3] عبد الباقي سرور: نفس المرجع -ص:142

[4] نفس المرجع -ص:155

[5] انظر: مسكويه تجارب الأمم -ج1، ص:81 وابن الجوزي: المنتظم-ج6، ص:160، وابن كثير: البداية -ج11، ص:139 وما بعدها وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: مج1، ج2، ص:256

[6] وو لم يذكروا مصادر تثبت ما ذهبوا إليه، انظر: عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق -ص76، وسامي النشار: المرجع السابق -ج1، ص:613، و Louis Massignon: op. cit-Vol-1.p:285

[7] انظر: ابن كثير المصدر السابق -ج11، ص:144، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق-مج1، ج2، ص:256 وابن الجوزي: المنتظم -ج6، ص:160

[8] لم يذكر عبد الباقي سرور مصادره فيما ذهب إليه-انظر: الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ص:142، و 155

[9] راجع طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى

[10] مسكويه-تجارب الأمم -ج1، ص:260

[11] انظر ابن كثير: البداية -ج11، ص:141 ومسكويه: المرجع السابق-ج1، ص:81

يقينه لأن المصادر المتوفرة لم تصرح بذلك، لكن يبقى احتمال استغلال ابن عطاء الله لقوة الحنابلة، ومكانته بين العامة ونقمة الشارع على السلطة[1]، ممكنا بحيث يستطيع تحريض هؤلاء على الدولة لينقذ رفيقه فينضم إليه بعض الحنابلة ضمن العامة الذين فتنوا بالحلاج غير أن ذلك -في حالة ثبوته- لا يدل على وجود تأييد حنبلي عام، لأن فقهاء الحنابلة لم يعارضوا علماء بغداد حين أجمعوا على تكفير الحلاج وقتله[2]. ومما يزيد عدم قبولهم له أنهم لم يترجموا له في طبقات الحنابلة[3]. وكان إمامهم من المنكرين على الصوفية سلوكهم ومناهجهم. وهل يعقل أن يرضى الحنابلة وأصحاب الحديث على رجل يدعي النبوة والألوهية والحلول؟ وهم أكثر الناس التزاما بالأثر، وتصديا لأهل البدع وهم الذين أنكروا على ابن عقيل الشاب الحنبلي (ت513هـ/1119م). عندما ألف كتابا ترحّم فيه على الحلاج، ومدحه، وتأوّل أقواله، وفسّر أسراره، واعتذر له عما صدر عنه، وحاولوا قتله لولا أنه تاب عن ذلك[4]، وحتى كبار متصوفة الحنابلة، لم يُقرّوا الحلاج، على ما ادعاه، وجعلوه من العاثرين لم يجد مد يأخذ بيده[5]، أما ابن تيمية، فيرى أن الحلاج لم يقتل مظلوما، لأن ما أظهره، جعل قتله واجبا على المسلمين[6].

---

[1] بسبب الظلم وأعمال النهب وفقدان الأمن والصراع بين العامة والجند. اليافعي: مرآة الجنان-ط2- بيروت- منشورات الأعلمي-1970- ج2، ص:249.

[2] انظر: ابن الجوزي: تلبيس إبليس-ص:171 وابن كثير: البداية- ج11، ص:141

[3] راجع طبقات الحنابلة

[4] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة - ج 1،ص: 174 - 175 ، وابن الجوزي: المنتظم- ج 8،ص:245.

[5] انظر: اليافعي: مرآة الجنان- ج2،ص:254، دائرة المعارف الإسلامية- ج8،ص:19

[6] ابن تيمية: مجموع الفتاوى ج2،ص:483.

ويمكن القول أن الحنابلة كجماعة، لم يقفوا بجانب الحلاج، بل ساهموا في قتله، ضمن تيار أهل السنة، الذين سجنوه، وحاكموه، ثم أعدموه. والغريب أن لويس ماسينيون، أدعى أن الحلاج كان يسعى لجمع كلمة المسلمين، غير أنه ذهب ضحية، الصراع السياسي بين طوائف بغداد[1]. فهل الذي يوحّد المسلمين، يدّعي النبوة، والألوهية، والحلول؟! إن الحلاج كان يعمل على هدم الاسلام، وسلخ المجتمع الاسلامي عن دينه. وهل كان ماسينيون يريد أن يتخلى المسلمون عن عقيدة التوحيد، ويجتمعون على عقيدة الحلاج الحلولية القريبة من عقيدة التثليث النصرانية؟! بئس تلك الوحدة التي أرادها الحلاج ومن والاه.

ويتبين من علاقة أصحاب الحديث، بالصوفية، أن الخصام القديم الذي يرجع إلى أيام الإمام أحمد، أنه أدى إلى جفاء، ونزاع، في بعض الفترات، لكنه لم يتحول إلى صدام عنيف، لضعف الصوفية، وانعزالهم عن مخالطة الناس من جهة، وقوة أهل الحديث، ونفوذهم في المجتمع، وحرصهم على نصرة مذهبهم والتصدي لكل من يعارضه من جهة أخرى.

(ب) النزاع بين الحنابلة والطبري:

يرجع الخلاف، بين الحنابلة وابن جرير الطبري (ت 310 هـ/922 م) إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري[2]/ 9م، حين أنكروا عليه ثلاثة أمور هي: أخذوا عليه عدم ذكر الإمام أحمد بن بين الفقهاء، في كتابه (إختلاف

[1] انظر: عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام، مصادرها، ونظرياتها – مصر – دار الفكر العربي – بدون تاريخ، ص: 347.

[2] لم تحدد المصادر سنة بداية الخلاف بين الطبري والحنابلة، لكن الحنابلة نقموا عليه عندما ألف كتابه: اختلاف الفقهاء، وهو أول كتاب ألفه (ياقوت الحموي: المصدر السابق- 18/57)، وبما أنه ولد عام 224 هـ، فإنه يكون قد بدأ التأليف في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري على أبعد تقدير، وفي تلك الفترة بدأ الخلاف

الفقهاء[1])، وعدّه من المحدثين، وسألوه عن حديث إجلاس الرسول(ﷺ) على العرش، فأنكره، وانشد:

سبحان من ليس له أنيس ...... ولاله في عرشه جليس[2]

فاتهموه بالإلحاد، وقذفوه بمحابرهم[3].

ورموه بالتشيّع، لأنه أجاز، المسح على القدمين، في الوضوء، ولم يوجب غسلهما[4]، ولأنه ألّف كتابًا في غدير خم[5]، وذكر ابن كثير، أن الطبري، أوجب في تفسيره غسل القدمين، ودلكهما، لكنه عبّر عن ذلك بالمسح، فلم يفهم كثير من الناس مراده، ومن فهمه نقل عنه وجوب الغسل والمسح، وهو الدّلك. وأشار إلى أن من العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان، أحدهما شيعي ينسب إليه ذلك، ونزّهوا أبا جعفر الطبري من تلك التهم[6].

ويرى لويس ماسينيون أن الحنابلة، انقلبوا على الطبري، لوقوفه بجانب الوزير علي بن عيسى حين انكر على الحنابلة، مشاغبتهم لتخليص الحلاج من القتل[7]. وهذا إدعاء يتعارض تماما مع الواقع التاريخي الذي يثبت أن الخصام بين الطرفين، يعود إلى ماقبل مقتل الحلاج، نحو عقدين من الزمن[8] كما أن المصادر، تطرقت لأسباب النزاع، ولم تذكر ماذهب إليه ماسينيون.

---

[1] ياقوت الحموي: المصدر السابق- ج 18، ص:57.

[2] نفسه- ج 18،ص:57

[3] انظر: مسكويه- تجارب الامم- ج 1،ص:85، وابن كثير البداية- ج 11،ص: 146، وياقوت الحموي:المصدر السابق- ج 18،ص:58.

[4] ابن الجوزي: المنتظم - ج 6، ص:172.

[5] ابن كثير: المصدر السابق- ج 11،ص:147

[6] نفسه - ج 11،ص:147.

[7] عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة- ص:76.

[8] راجع هامش رقم2، ص:108.

وانتهى الأمر بالحنابلة، إلى مهاجمة الطبري، داخل المسجد ثم أجبروه على لزوم بيته. فتدخلت الشرطة لحمايته، وتفريق المحاصرين لداره[1].

وقد سعى ابن جرير الطبري، إلى وضع حد للخلاف، فكتب رسالة[2] اعتذر فيها للحنابلة، وصوّب إعتقاد إمامهم. غير أنه لم يُوفق. وذلك أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني (ت 316 هـ/928 م) رفع الى نصر الحاجب (ت 316هـ/ 928 هـ)، أشياءً انكرها على الطبري، منها أنه يفسر قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) سورة المائدة الآية رقم: 64. بالنعمتين مسايرة للجهمية، وأنه روى أن زوج النبي (ﷺ) حين خرجت سالت على كف علي بن ابي طالب فحساها[3]. فكتب الطبري إلى نصر الحاجب ردًا، انكر فيه إتباعه للجهمية، ووضع أن عليا مسح بروح الرسول، وجهه وليس حساها. ثم هاجم في الحنابلة، ووصفهم بالعصابة الخبيثة[4]. فردّ عليه ابن الجوزي بقوله (... وهذا قبيح منه. لأنه كان ينبغي أن يخاصم من خاصمه. وأما أن يذم طائفته وهويدري الى من تنتسب فغاية في القبح)[5].

وفي عام 309 هـ/ 921 م، تدخل الوزير علي بن عيسى، وأحضر الطبري إلى داره، لمناظرة الحنابلة فيما نقموه عليه. فلم يحضروا اللقاء[6]. وقد سكتت المصادر عن سبب غيابهم، وربما كان الدافع، هو أن الوزير كان صديقًا للطبري[7]. وخصمًا عنيدًا لهم[8].

---

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء – ج 18،ص:57- 58.
[2] ياقوت الحموي: المصدر السابق – ج 18، ص:59.
[3] ابن الجوزي: المنتظم – ج 6، ص:172.
[4] نفسه – ج 6،ص:172.
[5] نفسه– ج 6،ص:172.
[6] نفسه– ج 6،ص:150، وابن كثير: البداية – ج11،ص: 132.
[7] عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام– ص:76.
[8] عن ذلك انظر: هلال الصابي: كتاب الوزراء وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء– ص:162.

وقداختلف المؤرخون في تحديد من المعتدي على ابن جرير الطبري، فابن الجوزي، قال أن العامة نقمت عليه[1]. وأبو الفداء وابن الأثير اتفقا على أن العوام تعاونوا مع الحنابلة، في التعرض له[2]. وياقوت الحموي حمّل الحنابلة، وأصحاب الحديث مسؤوليه ماحدث له[3]. وابن كثير أشار إلى أن جماعة من رعاع الحنابلة، تألبوا عليه[4]. أما السيوطي فقال: فثارت عليه بغداد[5]. ويتبين من تلك الأراء أن الحنابلة هم الطرف الأساسي في النزاع، ثم انحاز إليهم أهل الحديث. وهؤلاء استمالوا إليهم العوام وألبوهم على الطبري.

ولم يتوقف الخلاف بين الطرفين، وإنما استمر إلى حين وفاة ابن جرير الطبري عام 310 هـ/ 922م. إذ منع الحنابلة دفنه، فلم يوار التراب إلا ليلاً[6]، وصلى عليه الناس في داره، ودفن بها[7].

ويتبين من الخصام الطويل بين الطرفين، أن الطبري، لم ينصف الإمام أحمد، حين ادعى أنه محدث، وليس بفقيه، فأحمد تلقى فقه الرأي والأثر[8]. وكانت له اختيارات كثيرة[9]، مكّنته من إنشاء قواعد مذهب سنّي حنبلي، وبقيت تهمة الطبري رائجة حتى القرن الخامس الهجري/11م. وفي ذلك يقول

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم - ج6، ص:172.
[2] المختصر في أخبار البشر، مج1، ج3، ص:90. والكامل - ج6، ص:171.
[3] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج18، ص:57، 58.
[4] ابن كثير: البداية - ج11، ص:146.
[5] السيوطي: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، حققه محمد الصباغ، بيروت - المكتب الإسلامي - 1982، ص:161.
[6] مسكويه: تجارب الأمم - ج1، ص: 85.
[7] ابن كثير: المصدر السابق - ج11، ص:147.
[8] نفس المصدر - ج11، ص:326.
[9] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة - ط دمشق - ج1، ص:189

ابن عقيل (ت 513هـ/1119م/ (ومن عجيب ما سمعته من هؤلاء الأحداث والجهال، أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه. وهذا غاية الجهل لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث، لايعرفها أكثرهم، وخرج عنه من دقيق الفقه ما لا يراه لأحد منه)، ثم أورد أمثلة على ذلك[1].

وأن عوام الحنابلة، لم يعرفوا للطبري فضله، فشتموه، وآذوه، ولم يحترموا فيه شيبته، ولا علمه، وهو كبير مؤرخي بغداد، ومفسريها. لكن يؤخذ عليه، عدم ترفعه عن العوام، الناقمين عليه، إذ بادلهم، الشتائم والتهم فلو تنزه عن ذلك لكان أحسن.

وأن النزاع بين الحنابلة والطبري[2]، أظهر قدرة الحنابلة على استقطاب عوام الناس من حولهم، وتوجيههم لنصرة مذهبهم، الأمر لذي سيمكنهم من توسيع دائرة الاستقطاب في الفتن التي سيخوضونها في صراعهم مع خصومهم في القرنين الرابع، والخامس الهجريين /10-11م.

(جـ) فتن بين الحنابلة والعامة ببغداد:

كثف الحنابلة جهودهم، لنشر مذهبهم، والتصدى لمعارضيهم ببغداد منذ مطلع القرن الرابع الهجري/10م، فحدثت بينهم، وبين العامة فتنة عام 306هـ/918، تدخلت الشرطة على إثرها، وقبضت على جماعة من الحنابلة وأرسلتهم إلى البصرة، فحبسوا هناك[3]. ولا يُعرف سبب هذه الفتنه، التى انفرد

[1] نفسه – ج1، ص: 189.

[2] وجد من شكك في حدوث الخلاف بين الطبري والحنابلة، وهذا يتعارض مع الواقع التاريخي، إذ المصادر على اختلاف توجهاتها أكدته، وكل ما في الأمر أن الخلاف بولغ فيه، فرويت فيه أخبار مكذوبة لكن ذلك لايعني أن المسألة باطلة من أساسها.

[3] ابن الأثير: الكامل – ج6، ص: 161، 162.

بها ابن الأثير عن غيره من المؤرخين وأغلب الظن أن سببها الخلاف بين الحنابلة والطبرى أو مسألة الحلاج، أو كلاهما معًا لأن القضيتين، حدثتا في ظرف زمني واحد.

وفي سنة 317هـ /929م. اختلف أصحاب أبي بكر المروزى الحنبلى، مع طائفة من العامة، في تفسير قولة تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)سورة الاسراء، الاية رقم: 49. فقال الحنابلة أن الله – عز وجل – يجلس رسوله – عليه الصلاة والسلام – إلى جانبه على العرش يوم القيامة وقال الآخرون أن المقام المحمود، هو الشفاعه العظمى يوم القيامه[1]. فنشب قتال بين الجماعتين، قُتل فيه خلق كثير، ولم يتوقف إلا بتدخل الجند[2]. وكان أبو محمد البربهارى رئيس الحنابلة (ت 329هـ/940م) لا يحل بمجلس إلا ذكر فيه أن الله يُجلس رسوله بجانبه على العرش[3].

ويؤخذ على جماعة أبي بكر المروزى، أنها تمسكت بآثار ضعيفه، وموضوعة. قاتلت من أجلها وتركت الروايات الصحيحة التى تبطل رأيها، إذ ثبت في أحاديث صحيحة رواها البخارى، وأحمد وابن خزيمة، أن المقام المحمود هو شفاعة النبى (ﷺ) – العظمى لأمته يوم القيامه[4].

---

[1] ابن كثير: ج11،ص: 162.

[2] أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر – مج 1،ج3،ص:94

[3] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة . ج2،ص:43.

[4] أنظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج11،ص:162. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير كذلك . ج4،ص:335.ابن خزيمة: كتاب التوحيد بيروت – دار الكتب العلمية . 1978 – ص: 305 . 306.

وفي أيام الوزير علي بن عيسى (ت 335هـ/946م)، بنى الحنابلة مسجدًا لهم ببغداد، اتخذوه منطلقًا لنشاطهم، فانزعج خصومهم منه، وتظلموا إلى الوزير فأمر بهدمه، بحجة أنه أسس على غير تقوى من الله[1].

ولم يذكر راوي الخبر هلال الصابئ سنة هدم المسجد، ولا موقعه، ولا رد فعل الحنابلة، ويكون الهدم قد حدث في الربع الأول من القرن الرابع الهجري/ 10م، لأن عليا ابن عيسى وزر للخليفتين المقتدر (295 – 320هـ/ 907 – 932م)، والقاهر با لله[1] (320 – 322هـ/932 – 934 م).

وتعاظم خطر الحنابلة سنة 323هـ/935م، حين اقتحموا البيوت، واعترضوا على كل مايرونه مخالفًا للشرع، فأمرت الشرطة بأن لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري، ولا يسمح بمناظرتهم في مذهبهم، ولا يصلي حنبلي بالناس إلا إذا جهر بالبسملة في صلاتي الصبح والعشاء[3]، فلم يرتدع الحنابلة واستمروا في أعمال العنف، واستعانوا بالعميان الماكثين في المساجد على الشافعية، فأقدمت الشرطة على سجن بعض أصحاب البربهاري، واختفى هو خوفًا منها[4]، فألقى حنبلي النار في الكرخ إنتقامًا لما حل برفاقه، فاحترق خلق كثير من الرجال والنساء، والعديد من المحلات التجارية، ولم تتوقف الفتنة إلا بعدما أصدر الخليفة الراضي با لله، توقيعًا زجرهم فيه، وهددهم بالقتل والتشريد وحرق بيوتهم[5].

---

[1] هلال الصابئ: كتاب الوزراء، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، حققه عبد الستار سراج مصر – دار إحياء الكتب العربية – 1952، ص:162.

[2] ابن كثير: البداية – ج 11، ص:218.

[3] ذكر ابن تيمية، أنه لم يصح في الجهر بالبسملة حديث وإنما وجد الجهر في أحاديث ضعيفة ووضعها الشيعة – بدر الدين الحنبلي: مختصر فتاوى ابن تيمية – ص:46 وما بعدها

[4] ابن كثير: المصدر السابق – ج 11، ص:182.

[5] مسكويه: تجارب الأمم – ج1، ص:223.

ويرى هنرى لاوست، أن هذه الفتنة، والإجراءات الحكومية التى اتخذت لإخمادها هي التى أظفت على الحنابلة، صفة التعصب والتمرد جعلت رئيسهم البربهاري، نموذجا للعلماء المتشددين المتجردين من روح الاعتدال، سمة الإمام أحمد البارزة[1].

في حين ذهب أحمد أمين إلى القول بأن الحنابلة اتعبوا الدولة العباسية أكثر من غيرهم، من أتباع المذاهب الأخرى، لشدة تزمتهم وميلهم إلى تنفيذ آرائهم بالقوة، وتعديهم على خصومهم، وقد صبروا على ما لحقهم من أذى، تأسيا بإمامهم أحمد بن حنبل[2].

والحنابلة فيما أحدثوه من فتن، قصدوا الإنتصار لمذهبهم، ولم يكن نشاطهم موجها للإطاحة بالدولة العباسية، وإن سببوا لها المتاعب، فهي بدورها استخدمت القوة لردعهم، لكن خطرهم كان محدودا، بالمقارنة إلى خطر الخوارج، والشيعة، والزنج، والقرامطة، الذين ثاروا على العباسيين، لإسقاط دولتهم[3]، كما أن عنف الحنابلة لم يكن موافقا لنهج الإمام أحمد (ت 241 هـ/855 م)، الذي سالم السلطة، ورفض استخدام القوة كوسيلة للتغيير، لكنهم وجدوا في مواقفه المتشددة من طوائف عصره، وفي دعوته لتغير المنكر سندا لهم في توسيع دائرة العنف الذي ستزداد حدته في القرن الخامس الهجري/11م، حين تنشق الطائفة السنية على نفسها.

[1] (-) IBN taimiya: Le traite du droit public: P:10

[2] ظهر الاسلام، ج2، ص: 226.

[3] عن ذلك انظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص: 83، وابن الأثير: الكامل، ج8، ص: 324.

(د) ـ النزاع بين الحنابلة والشافعية الاشاعره ببغداد:

لم يظهر النزاع بين الحنابلة والشافعية الأشاعره، للعيان إلا في القرن الخامس الهجرى/١١م، بعد ماامرت الأشعرية بمرحلة ضعف تسترت فيها بالحنبلية، أيام أبي الحسن الأشعرى وأصحابه الأوائل في القرن الرابع الهجرى/ ١٠م ولمعرفة جذور النزاع وتطوره، لابد من التطرق لموقف الحنابلة من مؤسس مذهب الاشاعره.

(أ) موقف الحنابلة من أبي الحسن الاشعري:

ظل أبو الحسن الأشعرى (ت 324هـ/935م)، على معتقد المعتزلة، أربعين عاما[1]، ثم تخلى عنه، واعتنق مذهب أهل السنة، قبل دخوله بغداد[2]، فلما أتاها واستقر بها، أعلن إنتسابه إلى الإمام أحمد بن حنبل[3]، واقترب من الحنابلة[4] غير أن جماعة منهم رفضته بحجة أنه مايزال على عقيدة المعتزلة[5]، وعندما اتصل بأبي محمد البربهارى، وأخبره أنه ردّ على المعتزلة، واليهود، والنصارى، والمجوس[6] أعرض عنه فانصرف وألف كتاب الإبانة عن أصول الديانة، ثم عاد وعرضه على الحنابلة الناقمين عليه، فلم يقبلوه منه وهجروه[7]

---

[1] الأهوازي: مثالب ابن أبي بشر - نشره ميشال آلارد في مجلة الدراسات الشرقية:

(-) B.E.O. tome x x 11) - Damas 1970-P.161

[2] نفس المصدر - ص: 153.

[3] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول - ج2،ص:10

[4] ابن تيمية: مجموع الفتاوى - ج3،ص:228.

[5] علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي - ص:202.

[6] الأهوازي: المصدر السابق - ص:159.

[7] ذكر الأهوازي أن الأشعري لما اختفى غادر بغداد فتوفي خارجها (مثالب - ص:163)، وهذا يتناقض مع ما هو معروف من أن الأشعري توفي ببغداد، ودفن بمقبرة أحمد بن حنبل (ابن عساكر: تبيين كذب المفتري - ص:391.)

لأنهم أنكروا عليه اشتغاله بالكلام[1]، واستحسانه الخوض فيه[2] ومخالفته لمذهب أهل السنة[3].

وقد حاولت الجماعة الحنبلية التي تبغض الأشعري قتله. فأختفى عن الأنظار، واستجار بيت أبي الحسن التميمي[4]. وأقام صداقه مع التميميين استمرت بعده مع أصحابه[5]. الأمر الذي جعل ابن عساكر يشك فيما رواه الأهوازي عن العلاقة السيئة بين الحنابلة والأشعري[6] لكن حقيقة المسألة. أن محبة الأشعري، لم تكن مع الحنابلة عامة، وإنما اقتصرت على التميميين فقط[7] وقابلها عداء شديد من رئيس الحنابلة وجماعته إنتهى إلى محاولة قتله[8].

ومن جهة أخرى اختلفت الآراء في تحديد موقف الحنابلة، من أبي الحسن الأشعري، فذكر البعض أن معظمهم يكفرونه[9]. وذهب آخرون إلى القول بأن طائفة منهم هي التي ضللته[10]. وشتمته[11]، وذمته[12]، وبدعته[13]، غير أنه

---

[1] ابن تيمية: نقض المنطق ـ ص: 12، والأهوازي: مثالب ص: 82.

[2] من مؤلفات الأشعري: استحسان الخوض في علم الكلام ـ خير الدين الزركلي: الأعلام ـ ج5، ص:69.

[3] ابن الجوزي: المنتظم ـ ج6، ص:332.

[4] نفسه ـ ج6، ص: 332

[5] ابن عساكر المصدر السابق ـ ص:390

[6] نفسه ـ ص: 390

[7] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول ـ ج 6، ص:56.

[8] ابن الجوزي: المنتظم ـ ج6، ص:332.

[9] أنظر: أبو الفداء: المصدر السابق ـ مج1، ج3، ص:113، وعبد الشمالي: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية ـ ط4 ـ بيروت ـ دار صادر ـ 1965 ـ ص:206. وعبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ـ ط2 ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ 1966 ـ ج1، ص:161.

[10] ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ـ ط1 بيروت ـ دار المعرفة ـ 1970 ـ ج1، ص:410.

[11] الذهبي: سير أعلام النبلاء ـ ج15، ص:86.

[12] ابن تيمية: نقض المنطق ـ ص:12

[13] نفسه ـ ص:12، وموافقة صريح المعقول ـ ج2، ص:11، ومجموع الفتاوى ـ ج3، ص:228

وجد منهم من جعله من الموافقين للسنة في العموم[1]. ومن ثم فليس من الإنصاف، القول، أن كل الحنابلة يكفرون الأشعري كما أنه ليس صحيحاً ما ذكره ابن عساكر، من أن الأهوازي، انفرد "برمي الأشعري بالكفر"[2].

وهناك مسألة أخرى تباينت حولها الآراء، وهي: هل كان الأشعري، صادقاً في انتسابه إلى الإمام أحمد، أم تظاهر به ليستميل الحنابلة ويدفع عن نفسه أذاهم؟ فالحنابلة في معظمهم يكذبونه، في دعواه متابعة إمامهم[3] بحجة أنه خالف مذهب السلف حين قال: أن القرآن، ليس هو كلام الله على الحقيقة، لأن كلامه (صفة قائمة بذاته مانزل ولاهو مما يسمع[4]). وجاء بمقالة (خبّطت عقائد الناس، وأوجبت الفتن المتصلة[5]). غير أنه وجد منهم من صدّقه في تبنّيه لمعتقد أحمد به حنبل، وجعله من متكلمة أهل السنة، الموافقين لمذهب السلف في الجملة، كأبي بكر بن عبد العزيز غلام الخلال، وأبي الحسن التميمي[6].

ويرى ابن تيمية، أن الأشعري كان صادقا فيما صرّح به، من إنتسابه إلى أحمد وأصحاب الحديث، في مؤلفاته: الابانة، والموجز، والمقالات[7]. لكنه خالف كبار الأئمة في مسألة الصفات الاختيارية، حين نفى قيامها بمشيئة

---

[1] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول، ج2، ص: 10.

[2] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: 407.

[3] ابن تيمية: منهاج السنة، ج2، ص: 165

[4] ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص: 332.

[5] نفسه، ج6، ص: 332

[6] ابن القيم: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: 137. وابن تيمية: مجموع الفتاوى ج2، ص:10

[7] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج6، ص: 359، و ج11، ص: 204، وموافقة صريح المعقول ج2، ص:10

الله، وقدرته، فوافق بذلك السلف في إثباتها مطلقا، واتفق مع المعتزلة والجهمية، في إنكار تعلقها بمشيئة الخالق وقدرته، تأثرا بهم[1].

وتعتقد جماعة من الأشاعرة، أن إمامهم الأشعري ساير الحنابلة في قضايا الصفات ليس إيمانا بها، وإنما ليداريهم بها[2]، منهم أبو بكر الباقلاني(ت 403هـ / 1012م)، ذكر أن شيخه أبا الحسن، وافق الحنابلة في مسائل لايعتقدها ليتقيهم بها[3].

أما الكتاب المعاصرون، فذهب منهم علي أبوريان، ومحمود غرابة، ومحمد زاهر الكوثري، إلى القول، بأن أبا الحسن انتسب إلى الامام أحمد، ليستميل الحنابلة ويتقي شرهم[4]. ويرى هنري لاوست أن الأشعرى، أظهر ولاءه، لأحمد بن حنبل، سعيًا منه لإيجاد صيغة توفيقية بين المتمسكين، بحرفية النص والمعتزلة[5].

ويبدو أن الأشعرى، لم يكن كاذبًا في انتسابه إلى الإمام أحمد، واعتناقه لمذهبه لكنه لم يقدر على التخلص من آثار الاعتزال في فكره، رغم تصريحاته المتكرره بتمسكه بعقيدة السلف وفي ذلك يقول أحمد أمين: (فنحن إذا أنصفنا قلنا أن مذهبه هو مذهب المعتزلة، معدلا في بعض جوانبه لأنه لم يهضم معتقد السلف هضمًا جيدًا)[6].

---

[1] ابن تيمية: وموافقة صريح المعقول، ج2، ص: 10.

[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج12، ص: 204.

[3] الاهوازي: مثالب ابن ابي بشر، ص:159.

[4] انظر: علي أبوريان: المرجع السابق، ص: 202، وأبو الحسن الأشعري ـ اللمع ـ مقدمة المحقق ص: 7، وابن عساكر: تبيين كذب المفترى ـ هامش ص: 112

[5] I.B.N Taimiya: op.cit.P: 12

[6] ظهر الاسلام، ج 4،ص: 65، وانظر ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج2/ ص: 165.

ويعتمد المعتقدون بسنية الأشعري، على كتابه (الإبانة في أصول الديانة) في تقرير مذهبه السلفي[1] بدعوى أنه آخر مؤلفاته. فهل كان هذا الكتاب آخر مصنفاته؟. أم هو من أوائل أعمال مرحلة التحول عن الاعتزال؟

فالمتقدمون من الأشاعرة وبعض المؤرخين، يرون أن الأشعري ختم كتبه بالإبانة[2] ووافقتهم طائفة من السلفيين، والمستشرقين وجعلت كتاب (اللمع)، من إنتاج الأشعري في المرحلة ماقبل الأخيرة[3] في حين ترجح لدى جماعة من الكتاب المحدثين، أن كتاب (اللمع) هو آخر ما ألفه أبو الحسن الأشعري[4].

ويبدو لي أن كتاب الإبانة، هو آخر كتب الأشعري، لإشارة المصادر القريبة من عصره إلى أنه آخر مؤلفاته[5]، ولأن أبا الحسن قبل اتصاله بالحنابلة ألف عدة مؤلفات للرد على المعتزلة، وأهل الذمة[6]، ولم يصنف (الإبانة) إلا بعدما عاد إليهم للمرة الثانية فمن الممكن أن يكون كتاب اللمع، من مصنفاته التي سبقت إتصاله بهم.

كما أن الصبغة العقلية التي تميّز بها اللمع[7]، قد توحي أنه كتب في فترة إنهماك الأشعري للرد على المعتزلة قبل عرض أعماله على أبي محمد

---

[1] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج1، ج2، ص:303.

[2] انظر: ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى – ج1، ص:448. ومجموع الفتاوى – ج6، ص: 535. ومحمد علي حيدر أبادي: الرسائل السبع – ص: 54. ابن العماد: شذرات الذهب مج1، ج2، ص:303.

[3] الأشعري: اللمع، مقدمة المحقق، ص: 6، 7.

[4] انظر: النشوق: رجال الفكر، ص: 153. وجلال موسى: نشأة الأشعرية – ص:195. محمود صبحي: في علم الكلام – ج 2، ص:56، 57. وابن عساكر: تبيين هامش ص: 392. والأشعري: اللمع، مقدمة المحقق، ص: X.

[5] انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج6، ص: 359. ومحمد حيدر ابادي: المرجع السابق – ص:54. وابن العماد الحنبلي: شذرات، مج1، ج2، ص:303

[6] الأهوازي: مثالب – ص:159.

[7] الأشعري: اللمع، ص:45.

البربهاري، ومما يؤيد ذلك أنه لم ينتسب فيه إلى الإمام أحمد[1]. عكس ما فعله في الإبانة وليس من مصلحته أن يتخلى عن إتباعه لأحمد بن حنبل. وقد أمضى خاتمة حياته في كنف أسرة حنبلية، محتميا بها، خوفا من القتل[2].

واستمرت الطائفة الحنبلية التي تبغضه في عداوتها له حتى بعد وفاته، فحاولت نبش قبره وطمسه نهائيا أكثر من مرة لكن تدخل الشرطة حال دون تمكنها من هدمه[3]. وذات يوم مرت جماعة من الحنابلة بضريح أبي الحسن الأشعري، فتخلف أحد أفرادها وبال على قبره، فعاتبه فقيه سفع بفعلته، فرد عليه: (لو قدرت على عظامه لنبشتها وأحرقتها[4]) وهكذا (حاول فريق من خصومه الحنابلة الذين لم يستطيعوا أن ينالوا منه في حياته أن ينتقموا من تربته وعظامه، بعد أن أعياهم الإنتقام منه حيا[5]).

ورغم العداء الذي أظهره الحنابلة للأشعري، فإنه أثر بفكره في طائفة منهم، وافقته على أصوله[6]، وعدته من الموافقين للسنة في العموم[7] كالتميميين الذين حموه[8] والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل الذين سايروه في نفي الأفعال

---

[1] نفس المصدر، ص:6، و ما بعد ها. ومحمود صبحي: المرجع السابق، ج2،ص: 56 و مابعدها.

[2] أنظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص: 332.

[3] أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مج1، ج3،ص:113.

[4] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص:68

[5] عبد الشمالي: المرجع السابق، ص: 206.

[6] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول، ج2، ص: 56.

[7] نفس المصدر، ج2، ص: 10

[8] نفس المصدر، ج2، ص: 55، وابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص:332.

الاختياريه المتعلقة بمشيئة الله وقدرته[1] وممن تأثر به أبو الخطاب الكلوذاني(ت 510هـ/116.) حتى نسب إلى الأشاعرة[2].

ولكى يعبر الحنابلة عن رفضهم للأشعرى، أقصوه من جماعتهم فلم يترجموا له، في طبقاتهم رغم انتسابه إلى إمامهم[3]. وفي ذلك يقول محمد زاهد الكوثرى، إن: (فقهاء المذاهب يتجاذبون الأشعرى: إلى مذاهبهم)، والحنابلة أحق به من غيرهم لأنه صرّح بإتباعه لأحمد، لكنهم لايذكرونه في تراجمهم ولا يعدونه منهم بل يمقته الحشوية منهم فوق مقت المعتزلة[4]. وبعد وفاة الأشعري، واصل أصحابه من بعده حفظ مذهبه والدعوة إليه[5] وواصلوا صحبتهم للتميمين إقتداءً بأستاذهم، فكانت بينهم المؤانسة والضيافة[6].

وعندما أظهر متقدمو الأشعرية ما لا يتفق مع فكر الحنابلة وأصحاب الحديث، تعرّضوا للمضايقات والمطاردات[7] ومنعوا من إظهار مذهبهم[8] فا نتسبوا إلى الحنبلية وتستروا بها[9]، ووطدوا علاقتهم بالتميميين[10]، حفاظا على كيانهم فكان أبوبكر الباقلاني، يكتب في فتاويه: محمد بن الطيب الحنبلي، وعندما رفع أمره إلى الخليفة القادر. أظهر مذهب أحمد بن حنبل[11].

---

[1] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول - ج2،ص:10.

[2] ابن عساكر: تبيين كذب المفترى - ص: 390.

[3] راجع طبقات الحنابلة.

[4] ابن عساكر: المصدر السابق - ص: 16.

[5] الأهوازي: مثالب - ص: 161.

[6] ابن عساكر: تبيين كذب المفترى - ص: 390

[7] ابن تيمية: نقض المنطق - ص: 14، وموافقة صريح المعقول ج2، ص: 54.

[8] ابو الحسين بن ابي يعلي: ج2،ص: 239 والأهوازي: المصدر السابق - ص: 161.

[9] ابن تيمية: نقض المنطق - ص: 14.

[10] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول - ج2،ص:11.

[11] ابن تيمية: نقض المنطق - ص14.

واشتد الحال على الأشعرية في عهد القادر با لله، (381 ـ 422هـ / 991 ـ 1031م)، فلُعنت على الملأ، وقُرنت بالشيعة والجهمية[1] ولولا تسترها بالحنبلية، لما حافظت على ذاتها ولا راجت بين الناس[2] وحين جاء نظام الملك (ت 485هـ/ 1092م). إلى الوزارة سعى إليه كبار الاشاعرة، منهم أبو إسحاق الشيرازي (ت 476هـ/1083م). لرفع اللعنة عنهم، وافتوه بعدم جواز لعن الأشعرية، وتعزير من يفعل ذلك [3]فلبى طلبهم، ورفع من شأن مذهبهم، وأيدهم على خصومهم من الحنابلة وأهل الحديث. فتغير حال الأشعرية، وعظم أمرها واعتنقها معظم الشافعية[4]. لكنها وجدت مقاومة عنيفة من الحنابلة، الذين كانوا أكثر أهل بغداد بغضًا وعداءً لها. وذكر ابن عساكر وابن تيمية، أن الطائفتين بقيتا على وئام واتفاق مدة طويلة حتى فرقتهما فتنة ابن القشيري، عام [5] 469هـ/1076م. غير أن الواقع التاريخي يناقض ذلك، فهويثبت أن الأشعرية منذ وفاة مؤسسها لم تستسلم، وظلت تقاوم وتتحين الفرص للتعبير عن أفكارها، لكنها لم تقدر على إظهارها علانية، لما كان يلحقها من قمع ومطاردة، على يد الحنابلة [6] ورغم ما أصابها، فإنها تمكنت من إختراق الحصار المفروض عليها، ودخلت في صراع طائفي مع الحنابلة، قبل فتنة أبي نصر ابن القشيري(ت469هـ/1076م).

---

1 نفس المصدر ص: 13

2 نفس المصدر ص: 6و14. ومجموع الفتاوى ـ ج3، ص: 228.

3 ابن تيمية ـ نقض المنطق ـ ص: 14

4 ابن الجوزي: المنتظم ـ ج8، ص: 359.

5 ابن تيمية: مجموع الفتاوى ـ ج3، ص: 229. ونقض المنطق ـ ص 66.

6 أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ـ ج2، ص:239.

(2) فتن بين الحنابلة والاشاعرة ببغداد:

الخلاف بين الاشاعرة والقاضي أبي يعلي الفراء:

كان أبو بكر بن فورك الأشعري (ت410هـ/ 1019م)، قد ألف كتابا، في إثبات التأويل وسار فيه على نهج أهل الكلام، في إنكار صفات الخالق، وتأويلها بما يؤدي إلى تعطيلها، فجاء القاضي ابو يعلى (ت458هـ/1065م)، ورد عليه في مؤلفة (إبطال التأويل[1])، أثبت فيه الصفات التى أولها، ابن فورك، فاتهمه الأشاعرة بتشبيه صفات الله وتجسيمها[2] ثم حدث نزاع بين الأشاعرة، والحنابلة وجرت بينهم مناقشات عما جاء في كتاب أبي يعلي، وقد شاع أمره وكثر الكلام عنه، فتدخل الخليفة القائم(422 ـ467هـ/1031ـ 1075م)، وطلب المصنف، فاطلع عليه ورده للقاضي أبي يعلي، وأمر بعقد إجتماع للنظر فيما جرى من خصام بين الطائفين، فحضره جمع من الفقهاء والأعيان سنة 432هـ/1040م، وأنتهى اللقاء لصالح أبي يعلي[3]، وحرر الحاضرون محضرا نصروه فيه، وكان أولهم الزاهد أبو الحسن القزويني(ت 442هـ/ 1050م)، كتب مانصه: (هذا قول أهل السنة وهو إعتقادى وعليه اعتمادى[4]) ثم أخرج القائم بأمر الله رسالة الاعتقاد القادرى بما يوافق مذهب أبي يعلى الفراء[5].

كانت هذه أول محاولة جماعية علنية، قام بها الأشاعرة، إنتصارا لمعتقد هم ووقوفا في وجه الحنابلة وأصحاب الحديث، الذين وجدوا الدعم المطلق من السلطة.

---

[1] ابن تيمية: مجموع الفتاوى ـ ج6، ص: 54.

[2] ابن الأثير: الكامل ـ ج8، ص:6، و104.

[3] ابو الحسين بن أبي يعلي: طبقات الحنابلة ـ ج2، ص:197.

[4] ابو الحسين بن أبي يعلي: المصدر السابق ـ ج2، ص: 197.

[5] نفس المصدر ـ ج2،ص: 198.

ثم تجدد الخلاف بين الطائفتين عام445هـ /1053م، بسبب القضية السابقة، فتدخل القائم بأمر الله، مرة أخرى وعقد إجتماعًا بدار الخلافة حضره العلماء، والقضاه والأعيان. فتم الصلح بين المتنازعين وأعلن أن القرآن كلام الله، وأخبار الصفات تمر كما جاءت وخرج أبو يعلي منتصرًا[1].

وهذه هي المرة الثانية التي سعى فيها الأشاعرة، جماعيا لنصرة مذهبهم. والإنكار على الحنبلية التي دلت على أنهم لم يوافقوا على تسوية عام 432هـ /1040م، وإنما ألزموا على القبول، فتظاهروا به. لذلك كرروا احتجاجهم على كتاب أبي يعلي، سنة 445 هـ/ 1053م، فأجبروا مرة ثانية على السكوت والرضى بمؤلف اتهموا كاتبه بالتشبيه والتجسيم.

ووقف أبو محمد التميمي الحنبلي، بجانب الأشاعرة وشنع على القاضي أبي يعلي، لما أورده في كتابه: إبطال التأويل، وقال عنه: (لارحمه الله، فقد بال في الحنابلة البولة الكبيرة، التي لاتغسل إلى يوم القيامة[2]) وروى أبوبكر بن العربي أن القاضي رئيس الحنابلة كان يقول: (إذا ذكر الله تعالى، وماورد من هذه الظواهر في صفاته فالزموني ماشئتم، فإنني ألتزمه إلا اللحيه والعورة[3]) وهذا عند ابن تيميه كذب على أبي يعلي، وخبر عن مجهول نسبه إليه. وكذلك أبو محمد رزق الله التميمي، فقد رماه بأشياء هو بريء منها وذكر أن القاضي، أورد في كتابه أحاديث موضوعة صريحة في التشبيه والتجسيم. كحديث رؤية الله عيانا ليلة معراج الرسول –عليه الصلاة والسلام– وحديث إقعاده –(ﷺ)– على العرش، وهو حديث المقام المحمود[4].

---

[1] نفسه ـ ج2، ص: 198.
[2] صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات ـ ج3، ص: 864.
[3] ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل ـ ج5، هامش ص: 338.
[4] نفسه ـ ج5، هامش ص: 338.

والذي أوقع أبا يعلى الفراء، فيما أخذ عليه ضعفه في علم الحديث إذ كان قليل الخبرة فيه وبرجاله، فروى أخبارًا مكذوبة، واهية احتج بها في الأصول والفروع[1]، فأوهمت التجسيم ووجد فيها خصومه حجة قوية لمقارعته. أما هو فلم يكن يعتقد التشبيه وكتبه تشهد عليه، فيقول في مؤلفه (إبطال التأويل) عن الله (وإنه فرد الذات متعدد الصفات لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته، ولا ثاني له ولا نظير، وصفاته لا تُرد وكيفياتها مجهولة لا ترد كالجهمية، ولا تحمل على التشبيه كالمشبهة الذين اثبتوا الكيفية، ولا تؤول على اللغات والمجازات كما تأولتها الأشعرية، فلا تعطّل ولا تشبّه ولا تؤوّل وإنما تُثبت مع نفي التشبيه والأدوات[2]). وعلى الرغم من الصلح الذي تم بين الحنبلية والأشعرية عام 445هـ / 1053م، فإن النزاع قد تجدد بين الطائفتين وعاد على أشده.

فتنة عام447هـ/1055م بين الحنابلة والشافعية الاشاعرة ببغداد:

اعترض الحنابلة على الشافعية الأشاعره، (سنة 447هـ/1055م)، قراءتهم القنوت[3] في الصبح، وترجيعهم في الآذان[4] وجهرهم بالبسملة في الصلاة، فأنقسمت العامة بين مؤيد للحنابلة ومخالف لهم، ثم أنحازت كل فئة إلى الطرف الذي مالت إليه، ولم تفلح مساعي ديوان الخليفة القائم، للتوفيق بين

---

[1] صلاح الدين الصفدي: المصدر السابق، ج3، ص: 864

[2] أبو الحسين ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص: 209.

[3] هو عند الحنابلة والأحناف غير مشروع إلا عند النوازل، في كل الأوقات وعند الشافعية، سنة في الصبح.السيد سابق، فقه السنة، ط7، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، ص: 198)

[4] هو أن يردد المؤذن الشهادتين مرتين بصوت منخفض. نفسه، ج1، ص: 198.

[5] أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، مج1، ج4، ص: 77

الفريقين، وبقي الخلاف قائما فتوجه الحنابلة، إلى أحد مساجد الشافعية، ونهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفا وقال لهم: (ازيلوها من المصحف حتى لا اتلوها)[1]. وجوابه هذا في غير محله فهم طلبوا منه عدم الجهر بها، وليس عدم قراءتها حتى يقول لهم أزيلوها. ثم تطوّر النزاع بين الجماعتين إلى الاقتتال، وتقوى جانب الحنابلة، وتقهقر صف الأشاعره الذين لزموا البيوت، ولم يعودوا قادرين على حضور صلاة الجمعة ولا الجماعات خوفا من الحنابلة[2].

وقد كان في وسع علماء هؤلاء أن يعملوا على ائتلاف أبناء المجتمع الواحد، فيُجهر بالبسملة، أو تُترك لمصلحة راجحة ويُتخلى عن الأفضل لجمع القلوب، كما ترك النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إعادة بناء البيت الحرام على قواعد إبرهيم ـ عليه السلام خشية تنفير قريش، وقد نصَّ على ذلك أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة أهل السنة[3]. ولو التزم سكان بغداد، بتلك القاعدة الذهبية، لحقنوا دماءهم وجنبوا بلدهم مصائب كثيرة، لكن التعصب المذهبي المقيت، غلب عليهم وجرهم إلى مزيد من فتن مدمرة.

وتُعد حوادث عام 447هـ/1055م، من أخطر المواجهات التي وقعت بين الحنابلة والأشاعرة قبل فتنة أبي نصر بن القشيري، بخمسة عشر عاما، وربما أحست الأشعرية من نفسها قوة، حين دخلت حلبة الصراع العلني مع الحنبلية، بعد مرور أكثر من قرن من وفاة مؤسسها أبي الحسن الأشعري

---

[1] ابن الأثير: الكامل ـ ج8، ص: 73.

[2] ابن الجوزي: المنتظم ـ ج8، ص: 163، وابن كثير: البداية ـ ج12، ص: 66.

[3] بدر الدين الحنبلي: مختصر فتاوى ابن تيمية ـ ص: 52.

(ت324 هـ/935م). لإنهاء مرحلة الصمت والتخفي، لكنها أخطأت في تقدير حساباتها عندما قررت منازلة خصمها القوى، الذي مايزال يُهيمن على الشارع وفي وسعه مطاردة معارضية، ومنعهم من الالتحاق بالمساجد. وبجانب الخليفة السلفي القائم بأمر الله يحميه، ويدافع عنه. ولعلها كانت على وعي بالظرف الذي تمر به، وعلى علم بقدراتها وبإمكانيات عدوها. غير أنها أصرت على التصدى، للحنبلية والتعبير عن معتقدها جهارًا. ووضع حد لمرحلة الضعف لذلك لم يثبّطها. ماأصابها عام 447هـ/1055م. عن مواصلة إظهار مذهبها والدعوة إليه.

خصام بين الاشاعرة والحنابلة داخل جامع المنصور: عام 461هـ/1068م

انفرد ابن البناء الحنبلي بهذه الحادثة، عن غيره من المؤرخين، ومفادها. أن أشعريًا جلس ذات يوم بجامع المنصور سنة 461هـ/ 1068م، للتدريس والإرشاد، وشرع في التعريض بأهل السنة من الحنابلة واصحاب الحديث، واشاد بفضل الاشعرى ومن وافقه وأوهم الحاضرين أن أهل الأثر، يُشبهون صفات الخالق بصفات البشر، فقام إليه بعضهم وأنزلوه من على الكرسي لكنه عاد إليه. فتصدوا له ثانيةً وكسروا كرسيه وعوضوه برجل سني.[1]

ولم يذكر ابن البناء تفاصيل هذه الفتنة، واكتفى بالعرض الإجمالي لها، وهي محاولة تندرج ضمن مساعي الأشاعرة، الرامية إلى الجهر بمعتقدهم وإثبات ذاتهم لتحدي الحنابلة وأهل الحديث، الذين فرضوا الإعتقاد القادري

(-) George Makdisi: Autograph Diary - vol: XIX - 1957 - P.15

على طوائف بغداد بقوة السلطة. وقد قُرئ على الناس عام 460هـ/1067م. ولم يجرؤ أحد من الأشاعرة على الأعتراض[1]. لكنهم ظلوا يتحينون الفرص المناسبة، لنصرة مذهبهم فبعد وفاة القائم عام 467هـ/1074م، ومجيئ نظام الملك(ت 485هـ/1092م). إلى الوزارة تغير حالهم وتمكنوا من التعبير عن معتقدهم علانية في حوادث فتنة ابن القشيري.

فتنة ابن القشيري مع الحنابلة: 469هـ/1076.

عندما وصل أبو نصر بن عبد الكريم القشيري(ت 514هـ/ 1120م) إلى بغداد قادمًا إليها من الحج عام 469هـ/1076م، استقر بالمدرسة النظامية ودرس بها. فذمّ الحنابلة ونسبهم الى التجسيم[2] وأعلى من شأن الأشعرية التي لم يكن يُجهر بها على الملأ، قبل هذا اليوم[3].فتألم الشريف أبو جعفر(ت470هـ/1077م) رئيس الحنابلة، من عمل ابن القشيري، وأنكر عليه فعلته، ثم جنّد جماعة من أتباعه في مسجده تحسبًا لأي خطر محتمل[4]. والتف حول ابن القشري، أصحابه والمتعاطفون معه[5] وساعده أبو سعد الصوفي، وانحاز إليه شيخ الشافعية أبو إسحاق الشيرازي[6] ثم هاجمت جماعة من رفاقه مسجد الشريف أبي جعفر، فرماها الحنابلة با لآجر واشتبك الفريقان في مصادمات دامية. قتل فيها نحو عشرين شخصًا من الجانبين، وجُرح أخرون[7]. ثم اغلق الأشاعرة

---

[1] ابن كثير: البداية ـ ج12، ص: 96.
[2] ابن الجوزي: المنتظم ـ ج8، ص: 305.
[3] أبو الحسين ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ـ ج2، ص: 239.
[4] نفسه ـ ج2، ص: 239. وابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ـ ج1، ص: 25.
[5] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: 442.
[6] ابن الأثير: الكامل ـ ج10، ص: 104. وابن كثير المصدر السابق ـ ج12، ص:115.
[7] السبكي: طبقات الشافعية ـ ج4، ص:234. وابن رجب: الذيل ـ ج1، ص: 25.

سوق النظامية، ونادوا المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر: يامنصور، للتشنيع على الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله(467 ـ 487هـ/1075 ـ 1094م)، لأنه مال إلى ابن عمه أبي جعفر الحنبلي[1]. ثم توقفت الفتنة عندما مالت الكفة لصالح الحنابلة. وفي ذلك يقول أبو الحسين بن أبي يعلى الحنبلي(... فاشتد أزر أهل السنة ـ يعني الحنابلة ـ وقويت كلمتهم وأوقعوا بأهل هذه البدعة ـ يعني الأشاعرة ـ دفعات وكانت الغلبة لطائفتنا طائفة الحق فلما ادحض الله تعالى مقالتهم وكسر شوكتهم، عظم ذلك على رؤسائهم واجمعوا للهرب، والخروج من بلدنا إلى خراسان[2]).

وقد اتفقت طائفة من المؤرخين السلفيين على أن ابن القشيري، هو السبب فيما حدث، حين نصر مذهب الأشعري، وذمّ الحنبلية.[3] وذهب السبكي وابن عساكر إلى القول بأن ابن القشيري دعا إلى التوحيد وتقديس الله وتنزيهه عن الحوادث فاستجاب له أهل التحقيق، دون الحنابلة[4] وذكر ابن الأثير وابن خلدون، أن الواعظ الأشعري نصر مذهب أبي الحسن الأشعري[5] في حين أكد السيوطي أن القشيري أظهر معتقده، وحط على الحنابلة[6]. أما ابن تيمية فيرى أن أكثر الحق كان مع جماعة القرائية

---

[1] ابن رجب: الذيل ـ ج1، ص: 25.

[2] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ـ ج2، ص: 239.

[3] ابن رجب: المصدر السابق ـ ج1، ص: 25. وابن الجوزي: المنتظم ـ ج8، ص: 305. وأبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ـ ج2، ص: 239. والذهبي: سير أعلام النبلاء ـ ج19، ص: 425. وابن كثير: البداية ـ ج12، ص: 115.

[4] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ـ ص: 311. والسبكي: طبقات الشافعية ـ ج4، ص: 234.

[5] ابن الأثير: الكامل ـ ج10، ص: 104، وابن خلدون: كتاب العبر، مج 3، القسم5، ص: 980.

[6] السيوطي: تاريخ الخلفاء ـ ص: 442.

الحنبلية، مع قليل من الباطل. وأن كثيرًا من الباطل مع أصحاب القشيرى مع بعض الحق[1] ويتبين مما سبق أن ابن القشيرى هو البادئ في هذه الفتنة. وأن موقف ابن تيمية منها هو أقرب إلى الصواب.

عندما توقفت الفتنة تأهّب شيخ الأشاعره أبو إسحاق الشيرازى لمغادرة بغداد، فأسرع الخليفة المقتدى، في طلبه وبعث إليه يسكنه خوفًا من السلطان السلجوقي، ونظام الملك، وأملا في الإصلاح بينه وبين الحنابلة[2].

محاولة التصالح بين الحنابلة والاشاعره:

بعدما تراجع أبو إسحاق الشيرازى، عن قرار خروجه من مدينة السلام، كلّف المقتدى بأمر الله، وزيره عميد الدولة ابن جهير، (483هـ /1090م)، بجمع المتخاصمين، لإصلاح ذات البين. فأحضر من الحنابلة أبا جعفر وبعض أصحابه، ومن الأشاعره أبا إسحاق الشيرازى وأبا سعد الصوفي، وابن القشيرى. وبعد إفتتاح المجلس تكلّم الشيرازى وقال لأبي جعفر: (أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب، وهذه كتبي في أصول الفقه أقول فيها، خلافًا للأشعرية[3])، فرد عليه الشريف أبو جعفر (صدقت إلا أنك لمّا كُنت فقيرًا، لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجة بزك - يعني نظام الملك - وشبعت أبديت ما كان مخفيا في نفسك)[4].

وبعد ذلك خاطب أبو جعفر، أبا سعدا الصوفي قائلا: (مالك وهذا الشأن، وأنت صاحب هوى ولست من أهل العلم، فتدخلت بين المتكلمين، والفقهاء

---

1 ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج6، ص: 54.

2 ابن رجب: المصدر السابق، ج1، ص: 26 - 27.

3 ابن رجب: الذيل، ج1، ص: 27. وابن كثير: البداية ج12، ص:115.

4 ابن رجب: نفسه، ج1، ص: 27.

ودعوت للتعصب[1]). ثم تعرّف على ابن القشيري ـ كان قد نهض له احتراما ـ وقال: (هذا شاب ذكر ما في قلبه ولم ينافق. فلو جاز الشكر، لكان هو أولى به لأنه لم يداهن، كما داهن من سبقه). ثم توجه إلى الوزير متسائلا: كيف تصلح بيننا؟، وكيف يكون التفاهم؟ وهم يزعمون أننا كفار ونحن نعتقد أن من يخالفنا في الأصول كافر[2]. ثم ذكّره أن الاعتقاد القادري ـ القائمي. قد أخرج للناس علانية، وقرئ في الدواوين كلها، ووافق عليه العراقيون، والخراسانيون، وهو على مذهب أهل السنة والسلف[3] وأراد بذلك تنبيه الحاضرين إلى أنه لامكان للأشعرية بينهم بعد الإعتقاد القادري ـ القائمي.

وعندما انهى أبو جعفركلامه كتب الوزير إلى المقتدي، ليخبره بما جرى، فجاءه رد الخليفة شكر فيه الجميع[4]. ثم ختم ابن جهير المجلس، وتفرّق الحاضرون على غير تفاهم واستدعي المقتدي، ابن عمه أبا جعفر إليه، وإبقاه عنده بدار الخلافة[5]. أملا في وضع حد للفتنه.

أما الحنابلة فأشاعوا بين الناس أن أبا إسحاق الشيرازي، ترك مذهب الأشعري، عندما اعترف لأبي جعفر، أنه ليس على معتقد الأشعرية، فغضب الشيرازي غضبًا شديدًا، وبعث برسالة إلى الوزير السلجوقي نظام الملك، وقّعها أعيان الأشاعره، أخبروه فيها ماحدث لهم مع الحنابلة[6].

---

[1] ابن رجب: المصدر السابق، ج1، ص: 27.

[2] نفسه، ج1، ص: 27.

[3] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 115.

[4] نفسه، ج12، ص: 115.

[5] نفسه، ج12، ص: 119.

[6] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: 310 وما بعدها، والسبكي: طبقات الشافعية، ج4، ص: 234.

كتاب الاشاعرة إلى نظام الملك:(469هـ/1076م)

وفيه استنجد الأشاعرة، بالوزير وشكو إليه ماحلّ بهم على يد الحنبلية[1]، التي سبّت الشافعي، وأصحابه وشهّرت بهم، ولعنتهم في الأسواق والمساجد[2] وأبلغوه أن ابن القشيري، حين حل ببغداد دعا إلى التوحيد وقدّس الله ونزّهه عن الحوادث، فقبله أهل التحقيق ورفضه الحنابلة المجسمة، الذين أخذوا بظاهر الأخبار ولم يؤولوها، واعتقدوا أن الله يتكلم بصوت كالرعد، وأن له قدمًا، وأضراسا، ولهواتا، وأنامل[3]. ثم قالوا له: إن الأشاعرة ليس لهم إلا الله ونظام الملك، ثم أطالوا في مدحه وحرّضوه، على زجر الحنابلة أهل الغواية وحثوه على المبالغة في تأديبهم[4].

وعندما أنهوا خطابهم، وقعوا بخطوطهم أسلفه، وكان الشيرازي أولهم فجدد شهادته لإبن القشيرى، بدعوته إلى مذهب أهل السنة[5] وقمعه المبتدعة والمشبهة والقدرية، ثم صرّح للنّظام أنه على الإعتقاد الذي نصره ابن القشيرى وبه يدين الله عزوجل وحثّه على ضرب المجسمة الذين يعادون الشافعي، وأصحابه وأخبره أن الحنابلة ماتوا غيظًا من المدرسة النظامية، التي بناها ببغداد وافتى له بعدم جواز الصبر عليهم[6]. وحين انتهى جاء بعده باقي كبار الأشاعرة، كالحسين بن محمد الطبري(495هـ/1101م)، ومحمد بن أحمد الشاشي(507هـ/1113م) فكانت إمضاءاتهم متشابهة[7].

---

[1] ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 310 وما بعدها.

[2] نفس المصدر، ص: 311.

[3] نفس المصدر، ص: 312.

[4] نفسه، ص: 312.

[5] عن مفهوم: أهل السنة، وتنازع الحنابلة والأشاعرة في ذلك انظر، الفصل الأول.

[6] ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 313.

[7] نفس المصدر، ص:314 وما بعدها.

ويؤخذ على الشافعية الأشاعرة، في خطابهم للوزير السلجوقي، مبالغتهم في التحامل على خصومهم، وعدم إنصافهم، فالحنابلة ومن قبل الإمام أحمد - أثنوا على الشافعي، وترجموا له في طبقاتهم[1]، وهم يفرقون بين الشافعي الذي كان على عقيدة السلف وبين الأشاعرة الذين ابتعدوا عن مذهبه[2]. وهم يتولون الشوافع السلفيين كابن خزيمة[3] وجماعة عبد الصمد التي تعاونوا معها في القيام بالحسبة[4]. كما أن مؤلفاتهم المعتمدة، لاتقول أن للمعبود، أضراسا، ولهوات، وأنامل[5].

وعندما شاع خبر كتاب الأشاعرة إلى نظام الملك أذاع الحنابلة، أن هؤلاء كتبوا للوزير، ليُبطل مذهبهم، وأنهم ذكروا له أشياء عن معتقدهم زورا وبهتانا[6].

وقد اظهرت مذكرة الأشاعرة مايكنّه كاتبوها، من كراهية للحنابلة، كما بيّنت مدى حرص الأشاعرة على الإنتساب لأهل السنة، وحث نظام الملك على قطع شأفة الحنبلية، التي تعاونوا معها ذات يوم في تغيير المنكر[7]. وأوضحت أن الشيرازي لم يكن صادقا في شهادته لأبي جعفر الحنبلي، حين أنكر موافقته للأشعري، ثم عاد وأكد للوزير السلجوقي، أنه يدين بالأشعرية التي نصرها أبو نصر القشيري.

---

[1] راجع الجزء الأول من طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، والبداية لابن كثير، ج10، ص: 253.

[2] ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص: 359.

[3] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 96.

[4] عن ذلك راجع قيام أهل السنة بالحسبة.

[5] راجع طبقات الحنابلة، والمعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى، ومؤلفات ابن تيمية، وابن القيم.

[6] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق، ج2، ص: 239.

[7] عن ذلك انظر ماسبق من هذا الفصل.

رد نظام الملك على أبي إسحاق الشيرازي:

وصل كتاب نظام الملك إلى شيخ الشافعية، الشيرازي، عام 470هـ/1077م، ردًا على خطابه إثر فتنة ابن القشيري فذكّره فيه، أن سياسة الملك تقتضي العدل بين الناس وليس الميل إلى مذهب دون آخر. ونبّهه إلى أن المدرسة النظامية، لم تبن إلا للمصلحة، ولصيانة أهل العلم، ولم تُشيّد للإختلاف وتفريق الكلمة[1]. ثم اعترف له بعدم قدرته على مقاومة مذهب الحنابلة، الغالب على بغداد. ثم ختم مذكرته بملاطفته قائلا (...والشيخ الإمام أبو إسحاق وفّقه الله، رجل سليم الصدر سلس الإنقياد ويصغى إلى كل ما يُنقل إليه والسلام[2]).

ويبين هذا الخطاب، أن نظام الملك، كان موضوعيًا إلى حد كبير فلم يسارع إلى تلبية ماطلبه منه أبو إسحاق وجماعته وإنما ذكّره أن دوره كحاكم يحتم عليه البعد عن الفتن، والدعوة إلى السلم ثم طيب خاطره ونبّهه إلى أن لديه قابلية للتأثر بالغير فيما ينقلون إليه من أخبار. وهذا إنتقاد منه لشخصية الشيرازي.

وعندما شاع رد الوزير، بين الحنابلة، فرحوا به فرحًا شديدًا، وتقوّوا به على الأشاعرة الذين أصيبوا بخيبة أمل فاندفعوا إلى مهاجمة الحنبلية من جديد[3].

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص: 312.

[2] نفسه، ج8، ص: 312.

[3] نفسه، ج8، ص: 312.

فتنة بين الحنابلة وفقهاء المدرسة النظامية: (470هـ/1077م)

بعد أيام من ورود خطاب نظام الملك، نشبت فتنة بين الحنابلة وفقهاء المدرسة النظامية[1] على إثر تكفير فقيه أشعري للحنابلة فتصدوا له ورموه بآجرة، فهرب والتجأ إلى أحد أسواق بغداد، واستنجد بأهله فأغاثوه، واندلع قتال بين الطائفتين وعمّ النهب وكثرت الجراح، ولم يتوقف الصدام إلا بتدخل الجند[2] فكانت الحصيلة قتل نحو عشرين شخصًا من الطرفين وجُرح آخرون، ثم نُقل المقتولون إلى الديوان فرآهم القضاه والشهود، وكتبوا محضرًا أرسلوه إلى نظام الملك، فجاء رده مرضيًا للحنابلة، ثم أردفه بمكاتبات أخرى لم تكن في صالحهم[3]، بعدما أثر فيه الأشاعرة فمال إليهم وجاءت ردوده تدعيمًا لهم، على حساب الحنبلية ومما يؤيد ذلك أنه لم يتخذ إجراءً ضد الوزير عميد الدولة ابن جهير، حين لم يُخف تعاطفه مع الحنابلة، في فتنة ابن القشيري عام 469هـ/1076م، لكنه أمر الخليفة المقتدى بأمر الله، بعزله سنة 471هـ/1078م، عندما تمالأ على الشافعية[4].

ويتبين من تتبع حوادث عام 469هـ/1076م، و470هـ/1077م، الدامية بين الحنابلة والأشاعرة، أن ماوقع بينهم أظهر ماتكنّه كل طائفة للأخرى من عداء وكراهية، انتهى بهم الأمر إلى الاقتتال، والتكفير وأذهب أمل التقارب والوفاق بين الفريقين اللذين كانا يمثلان الجماعة السنية، وتعاونا يوما ما على تغيير المنكر[5]، ليبقى النزاع مستمرًا والفتن متواصلة.

---

[1] ابن كثير: البداية، ج12، ص: 117.

[2] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج8، ص: 312.

[3] ابن كثير: البداية، ج12، ص: 117.

[4] ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص: 313.

[5] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 119، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص: 319.

[6] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص: 24.

فتنة البكري مع الحنابلة:(475هـ/1082م).

بعد فتنة عام 470هـ/1077م لم تشر المصادر المتوفرة، إلى حدوث مواجهات دامية بين الحنابلة والأشاعرة، إلاماكان من أمر أبي بكر البكري، حين قدم إلى بغداد عام 475هـ/1082م، ومعه كتاب من نظام الملك، للتدريس والتكلم بمذهب الأشعري[1]. فأكرمه ديوان الخلافة وأغدق عليه الأموال والهدايا ولقبه علم السنة[2].

وأثناء تواجده ببغداد، درّس بالنظامية، وفي أماكن أخرى، فكان يشتم الحنابلة ويستخف بهم، وحدث بينه وبينهم، سباب وخصام، وعندما اراد الوعظ في جامع المنصور، الذي يشرف عليه الحنابلة، اتصل بنقيب النقباء، وأبلغه رغبته في ذلك[3] لكن النقيب خاف من الحنابلة القاطنين بباب البصرة قبالة الجامع، فجاء بالجند لحماية المسجد من الداخل والخارج، ثم أغلق كل أبوابه إلا الباب المقابل لحي الحنابلة[4]، ربما لمراقبتهم من جهة، وإثارتهم من جهة أخرى، ثم قال لهم (لا يخرج منكم أحد يا أهل باب البصرة، أعيرونا الجامع نكفر فيه ساعة، ومن خرج فعلت به وصنعت[5]). ثم أمر الخطيب التعجيل بخطبة الجمعة فلما انقضت الصلاة، جلس البكري في جمع قليل، فوعظ ومدح أحمد بن حنبل، ثم قال: (ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) سورة البقرة الآية رقم: 102. وماكفر أحمد بن حنبل، وإنما أصحابه. ثم أنهى

---

[1] ابن الجوزي: المصدر، ج9، ص: 3.

[2] ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، ج2، ص: 185.

[3] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص: 3-4.

[4] ابن النجار: المصدر السابق، ج2، ص: 185.

[5] نفس المصدر، ج2، ص:185.

درسه وتم له ما أراد[1] بعد ماكفّر الحنابلة في الجامع الذي يشرفون عليه، ولم يقدروا على منعه أو الرد عليه.

واتفق ذات يوم أن عبر البكري إلى قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني(ت 478هـ/1085م)، بنهر القلائين، فاعترضت جماعة من الفرائيين على أصحابه، وحدث بينهم سباب وخصام[2]. أما البكري فرجع واستنجد بالعميد ابن جهير، فأرسل الوزير من حاصر بيوت بني الفراء فنهبت وأخذ منها كتاب الصفات للقاضي أبي يعلي، وجعله ابن جهير بين يديه يقرأه على كل من يدخل عليه ويقول: (أيجوز لمن يكتب هذا أن يحمى أو يؤوى في بلد[3])؟. وهكذا تغير حال الوزير، فبعدما اُتهم بمساندة الحنابلة وتحامله على الشافعية، وكان جزاءه العزل عن الوزارة[4]، فقد عاد إليها لينصر الأشعرية، وينقلب على الحنبلية.

ويلاحظ في هذه الفتنة أن السلطة سارعت إلى إكرام الواعظ الأشعري، فلبّت طلباته، وساعدته بالجند، لأنه مبعوث نظام الملك. وربما هذا الأخير أرسل البكري خصيصاً إلى بغداد للإنتقام من الحنابلة الذين قهروا الأشاعرة لذلك سمح له بالتحدث بمذهب الأشعري، وهو يعلم مدى معارضة الحنابلة لذلك، بعدما وقع تحت تأثير علماء الأشعرية الذين حرّضوه على قطع دابر

---

[1] ابن النجار: المصدر السابق، ج2، ص:185.

[2] نسبة، لأبي يعلى الفراء الحنبلي.

[3] ابن الجوزي: المنتظم، ج9،ص: 4

[4] نفسه، ج9، ص: 4.

[5] انظر: ابن خلدون العبر، مج3، القسم 5، ص:985 ، ابن كثير: البداية، ج12، ص: 119 والذهبي: سير أعلام النبلاء، 399/18

الحنبلية. وقد حمّله ابن الجوزي، وابن العماد الحنبلي مسؤولية ماوقع في فتنة البكري.[1]

ويتبيّن مما حدث تراجع نفوذ الحنابلة في الدولة، بالنسبة لما كان عليه منذ أيام الخليفتين القادر بالله وابنه القائم بأمر الله، إلى فتنة ابن القشيري 469هـ/1076م، وفي المقابل تقوّت شوكة الأشاعرة، بدعم من السلطة، وبفضلها نالت من الحنبلية لأول مرة في تاريخها.

ولا تشير المصادر المتوفرة، إلى وقوع مصادمات خطيرة، بين الطائفتين بعد فتنة البكري، وأبرز ماجرى بينهما بعد وفاة نظام الملك (ت485هـ/1091م) ماحدث عام 495هـ/1101م.

فتنة الغزنوي مع الحنابلة: (495هـ/1101م).

قدم عيسى بن عبد الله الغزنوي الشافعي، إلى بغداد عام 495هـ/1101م، ومكث بها أكثر من سنة ثم غادرها.[2] وأثناء تواجده بها، وقعت بينه وبين الحنابلة مصادمات، فوعظ ذات يوم بجامع المنصور، وأظهر مذهب الأشعري، فمال إليه بعض الحاضرين واعترض عليه الحنابلة، فنشب عراك بين الفريقين داخل المسجد.[3] ويبدو أن الشجار لم يخلّف قتلى، ولم يتطور إلى مشادات واسعة النطاق، لأن أخبار الفتنة انقطعت.

ومر الغزنوي في أحد الأيام برباط الشيخ أبي سعد الصوفي، وكان ذاهبا إلى بيته، فرجمه الحنابلة من مسجد ابن جردة، فهبّ إليه أصحابه، والتقوا

[1] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص: 3 - 4 وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج2، ج3، ص: 353.
[2] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص: 131.
[3] نفسه، ج 9، ص: 131.

حوله لنصرته[1]. وبعد هذه الحادثة توقفت أخباره. فلا يُعرف ماجرى له. مع خصومه مدة بقائه ببغداد. كما يُجهل سبب مجيئه إليها. وهل دخلها. بمحض إرادته أم أُرسل إليها؟

وتعد حوادث عام 495هـ/1101م. آخر مواجهات الفريقين التي صرّحت بها المصادر المتوفرة عند نهاية القرن الخامس الهجري/11م. كما أن الفتن التي جرت بين الطائفتين، في سنوات، 469هـ/1076م، و475هـ/1082و 495هـ/1101م، أثارها أشاعرة غرباء، عن بغداد دخلوها لنصرة مذهبهم، في بلد غالبية أهله حنابلة[2]. أملا في التمكين لمذهبهم في عاصمة الخلافة. ولم يقتصر الصراع بين الجماعتين على المواجهات الدامية فحسب وانما اتخذ طابعًا دعائيا كذلك.

الدعايات المضادة بين الحنابلة والاشاعرة:

حرص الطرفان المتخاصمان على تبادل، الإتهامات، والتشنيع والتنكيت على بعضهما البعض، كوسيلة من وسائل الدعاية، والتشهير لتحقيق مكاسب مذهبية، ومن أجل الغلبة والنفوذ وإذلال الخصم. من ذلك أن أبا المعالي منصور الجيلي الأشعري(ت494هـ/1100م). كان قاضيًا على باب الأزج، بالجانب الشرقي من بغداد وسكّانه حنابلة، فكان يحتقرهم ويستهزئ بهم، فسمع ذات مرة رجلاً يطلب حمارا له ضائعًا، فقال: (يدخل باب الأزج، ويأخذ بيد من شاء[3]. وقال يومًا لزميل له: (لوحلف إنسان أنه لايرى إنسانا، فرأى أهل باب الأزج، لم يحنث)، فرد عليه رفيقه (من؟ عاشر قومًا أربعين يومًا فهو

[1] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص: 131.
[2] نفس المصدر، ج8، ص: 312.
[3] ابن كثير: البداية، ج12، ص: 160.

منهم)[1]. وحين توفي أبو المعالي سنه 494هـ/1100م، فرح الحنابلة لموته فرحا شديداً[2].

وأثناء تواجد البكري ببغداد، عام 475هـ/1082م، كثيرا ماسب الحنابلة، وسابوه وكفرهم وكفروه[3] وكانوا يكتبون إليه بالعجائب يسألونه عنها، فيستخف بهم هو الآخر، في الإجابة عنها[4] ولم تصلنا نماذج من تلك الأسئلة وإجاباتها. وبلغ به تعصّبه عليهم أنه أشاع عنهم، أنهم يقولون أن لله ذكرا[5]، وهذا كلام لا يقوله مسلم، وهو افتراء على القوم، تشهد مؤلفا تهم على بطلانه.

وقد حرص الأشاعرة في نزاعهم مع الحنابلة، على نعتهم بصفات قبيحة، ومستهجنة ومنفرة لصرف الناس عنهم وتأليب السلطة عليهم[6]، فهم رعاع وحشوية، وأوباش ومجسمة وأهل غواية يستحقون الزجر والتأديب. ادعوا أن المعبود ذو أضراس، ولهوات وأنامل، يتردد على حمار في صورة شاب أمرد يتكلم بصوت كالرعد، وكصهيل الخيل[7]. وفي المقابل وصف الحنابلة خصومهم الأشاعرة، بالمبتدعة[8]، والجهمية ليسوا من أهل السنة[9]، تخلوا عن عتقاد الشافعي، ودانوا بمذهب أبي الحسن الأشعري[10].

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 160.
[2] نفسه، ج 12، ص: 160.
[3] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص: 27، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب مج 2، ج3، ص: 553.
[4] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص: 4
[5] نفسه، ج9، ص: 4.
[6] راجع خطابهم إلى نظام الملك، و انظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: 310 ومابعدها.
[7] نفسه، ص: 310، مابعدها.
[8] ابن الحسين ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص: 239.
[9] (-) George makdisi: quatre opuscules.B.E.O. tome: XXIV - 1977. P:91.
[10] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص: 4.

ويتبين من حوادث النزاع بين الطائفتين، أن معظم الحنابلة خاصموا الأشاعرة، بزعامة رؤسائهم كأبي محمد البربهاري، والشريف أبي جعفر، وأن الجماعتين دخلتا في مواجهات دامية قتل فيها خلق كثير، وأنهما تبادلا السب والتهم، والتشهير والتكفير، الأمر الذي أدى إلى تصدع وحدة أهل السنة وإضعاف قوتهم، وإلى تأخير انتشار الأشعرية لشدة مقاومة الحنبلية لها. أما الحنابلة فتمكنوا من الحفاظ على صفوفهم رغم النزاعات التي شهدتها جماعتهم

النزاع داخل الجماعة الحنبلية:

عرفت الجماعة الحنبلية، خلافات داخلية، في القرنين الرابع والخامس الهجر يين/10-11م غالبا ماكانت نزاعات فردية محدودة الأثر. منها أن أبا الحسن التميمي(ت 371هـ/ 981م) عارض أصحابه في خصومتهم للأشعري، الذين حاولوا قتله، فلم يسايرهم، وحمى الرجل في بيته[1] واستمرت أسرته من بعده، في صحبة الأشاعرة[2]، فلم يؤد ذلك بالحنابلة، إلى مخاصمة التميميين وإقصائهم من جماعتهم.

وعندما ألف القاضي أبو يعلي الفراء، كتابه (إبطال التأويل) أنكر عليه أبو محمد التميمي الحنبلي(ت 488هـ /1095م) بعض مادوّنه فيه، واعتبره إساءة للحنبلية، وانحاز إلى الأشاعرة في اعترافهم على أبي يعلي، وانتقده انتقادًا لاذعًا وساخرًا فقال عنه (لا رحمه الله. فقد بال في الحنابلة بولة

[1] ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص: 332

[2] ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص: 390

الكبيرة، التي لاتغسل إلى يوم القيامة[1]). فلم ينته ذلك إلى تصدع في طائفتهما، وبقي اختلافهما إختلافاً علمياً، أثرى مذهبهما.

وحين توفي علي بن توبة العكبرى الحنبلي، (ت 461هـ/1068م)، تنازع الحنابلة في الصلاة على جنازته، فامتنع غالبيتهم عن الصلاة عليه، بحجة أنه دل على رجل من أصحابهم، أختبأ عنده في فتنة البساسيرى عام 450هـ/1058م، خوفا على نفسه وأهله. وبعد أخذ ورد حسم الخلاف بأن تولى أحدهم أمر المتوفى[2].

وفي القرن الخامس الهجرى/11م، شهدت الطائفة الحنبلية إنشقاق عناصر عنها، أبرزهم الخطيب البغدادي، وأبو الفتح بن الحمامي. فالخطيب البغدادي (ت462هـ/1059م)، كان حنبليا ثم انتقل إلى الشافعية، واعتنق المذهب الأشعري، لأن الحنابلة ضيقوا عليه، وآذوه[3]، حين رأوه يميل إلى المعتزلة والأشاعرة، ويتعصب لهم[4].

ويستبعد يوسف العش، أن يكون الخطيب نشأ على الحنبلية، ويتساءل: (أوليس عجيبا أن لايكون بين أساتذته، في الفقه شيخ حنبلي واحد، مع أنه كان على مذهب احمد؟ والذي يغلب على الظن أن ابن الجوزي واهم فيما أورده من ذلك، والا كان في اقوال، المؤرخين أو نصوص، المحدثين، مايقرب سبيل تصديق قوله[5]) ويرى المعلمي اليماني أن البغدادي، ورث مذهب أحمد عن عائلته، غير أن أصحابه حالوا دونه، في التبحر في العلوم، التي

---

[1] صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3، ص: 846

[2] (-) George Makdisi: Autographe Diary - Vol: 19 -1ère partie - 1957 - P: 14

[3] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج8، ص: 267

[4] نفس المصدر، ج8، ص: 267

[5] يوسف العش: الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها، دمشق المكتبة العربية، 1945، ص: 220

يرغب فيها فتضجّر منهم، وتحوّل إلى الشافعية ليحمـوه، ويمكّنـوه من تلقي المعارف التي يريدها[1]. ويعتقد أكرم ضياء العمري أن الخطيب كان حنبليًا، ثـم تشفّع لاعتبارين: الأول شدة خصومة الحنابلة لـه، والثاني أنه أمّ النـاس في جنازة الفقيه الحنبلي أبي علي الهاشمي عام 428هـ/1036م، ثم صلى بهم ثانية حين توفي الفقيه الشافعي، عمر بن إبراهيم سنة 434هـ/ 1042م، فيكون اعتنـق مذهب الشافعية فيما بين وفاة الرجلين ـ 428 ـ 434هـ/ 1036 ـ 1042م ـ بعدمـا جاوز الثلاثين من عمره وأصبح في مقدوره، إختيار المعتقد الذي يريده[2].

وربما كان الخطيب، قد نشأ في أسـرة حنبلية لم تحـرص علـى تلقينـه مذهبها، فتمكن الشافعية، من احتذابه والتأثير فيه، فلما علـم بـه الحنابلـة، نقموا عليه وطاردوه، ففارقهم والتجأ إلى الأشاعرة.

وعندما انضمّ الخطيـب البغدادي، إلى الشوافع، اشتد في ذم أصحابـه السـابقين[3]. فقابله الحنابلة بالإذاء، حيًا وميتًا، فضربوه داخل جامع المنصـور[4]. وطيّنوا عليه بابه ليلا، لتفوته صلاة الفجر[5]. وحين توفي الخطيب، كان الزاهد الحنبلي ابن الفقير، يأخذ فأسًا ويذهب إلى قبره، ليخرّبه، ويقول: (كان كثير التحامل على أصحابنا) فعندما رآه ذات يوم أحد شيوخ البلد، أخذ منه القأس وقال له: (هذا كان رجلا فاضلا، إماما كبير الشأن، مؤثـر فقـه) فتـاب ولم يعد إلى فعلته[6].

---

[1] أكرم ضياء العمري: موارد الخطيب البغدادي، ص: 48.

[2] نفسه، ص: 48.

[3] ابن كثير: البداية، ج12، ص: 109، وابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص: 110، وج8، ص: 268.

[4] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص: 15.

[5] يوسف العش: المرجع السابق، ص: 220.

[6] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص: 133.

والحنابلة يتهمون الخطيب بالكذب، والتعصب عليهم[1]. فيذكرون أنه روى أن أبا الحسن التميمي الحنبلي (ت 371هـ/981م)، سُئل عن فتح مكة أكان عنوة أم صلحًا؟ فأجاب: عنوة فقيل له مالدليل، فذكر حديثا عن الرسول (ﷺ) دعّم به ردّه[2]. فلما غادر المجلس اعترف لصديقه، أن الحديث ليس صحيحا، وانما وضعه ليدفع خصمه[3] لكن ابن الجوزي، شكّك في هذا الخبر بحجة أن الخطيب، رواه عن المعتزلي أبي القاسم عبد الواحد العكبري، وهو لا يُعتمد عليه، لأنه معتزلي وليس من أهل الحديث[4].

ويتهم ابن الجوزي، الخطيب البغدادي، بالقدح في الحنابلة[5] والحطّ من مكانة إمامهم حين حكى عن أحد فقهاء بغداد، قوله عن أحمد: (ايش نعمل بهذا الصبي، إذا قلنا لفظنا بالقرآن مخلوق، قال: بدعة، واذا قلنا غير مخلوق قال بدعه)، وأخذ عليه قوله عن أحمد بن حنبل، سيد المحدثين، وعن الشافعي، تاج الفقهاء، فلم يذكر الإمام احمد بالفقة[6].

أما السبكي الشافعي، فيرى أن الحنابلة هم الذين تحاملو على الخطيب، وابتلى منهم بوضع أكاذيب لاينبغي شرحها[7]، في حين ذهب هنري لاوست، إلى القول، أن الخطيب المنشق عن الحنابلة، حمل حقدًا عليهم وعداوة لهم أظهر هما، في كتابه تاريخ بغداد[8]. ودافع عنه يوسف

---

[1] أنظر: ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى، ج1، ص: 410. وابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص: 110، ج8، ص: 268 ـ 269.

[2] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ص: 10/461. وابن الجوزي: المصدر السابق، ج7، ص: 110.

[3] نفس المصدر: تاريخ بغداد، ج10،ص: 461 ـ 462. نفس المصدر، ج7، ص: 110.

[4] ابن كثير: البداية، ج11، ص: 298.

[5] من الذين قدح فيهم، ابن بطة العكبري، وقد رد عليه ابن الجوزي. ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص:322.

[6] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج8، ص: 269.

[7] السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص:34.

[8] (-) IBN Taimiya: op.cit - P:12

العش، عندما قرر أن الخطيب لم يخص الحنابلة بالذم، دون غيرهم من الطوائف إذا التزم في كتابه تاريخ بغداد، بمنهج أهل الحديث[1] فذكر عن المترجمين كل ماانتهى إليه من (مشهون مآثرهم وأحسابهم ومستحسن أخبارهم)، وتعرض لبيان "حالهم وما حفظ فيهم من الالفاظ عن أسلاف أئمتنا، الحفاظ، من ثناء، ومدح، وذم، وقدح، وقبول، وطرح، وتعديل، وتجريح"[2].

ومما سبق يُستنتج أن الخطيب البغدادي، تخلى عن الحنبلية عن اقتناع، ولم يثنيه، أذى الحنابلة له، والتحق بالشافعية طواعيه، ليكون قدوة لمن يخرج على الحنابلة فيما بعد وينظم إلى خصومهم كأبن الحمامي.

وذلك أن أبا الفتح الحمامي(ت518هـ /1124م)، كان من أصحاب أحمد بن حنبل تفقه على أبي الوفاء بن عقيل، وبرع في المذهب[3]، وعرف بينهم بالفطنة وشدة الذكاء لكن الحنابلة نقموا عليه أشياء لم (تحتملها أخلاقهم الخشنة) فأنتقل إلى مذهب الشافعي، وتفقه على أبي حامد الغزالي، وأبي بكر الشاشي، ووجد الشوافع على أوفى ما يريد من الإكرام، وجعلوه مدرسا بالنظامية[4]، ولا تعرف المسائل التي أنكرها عليه الحنابلة، إذ لم يفصلها ابن الجوزي، وابن كثير، اللذان ترجما له. لكن أغلب الظن أنها متعلقة بقضايا الإعتقاد، وعلم الكلام. الأمر الذي جعل ابن الحمامي لا يتحمل مضايقات أصحابه، ويلتحق بالشافعية ويتفقه في مذهبهم على كبار فقهائهم، وهكذا افتقد الحنابلة طاقة علمية مبدعة انتفع بها غيرهم[5] ولا يعرف ردّ فعلهم تجاه

---

[1] يوسف العش: الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد ومحدثها، ص: 246.
[2] نفس المرجع، ص: 240.
[3] ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 194
[4] ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص: 251.
[5] بناء على المصادر المتوفرة.

ما أقدم عليه ابن الحمامي، فهل سكتوا عنه، أم طاردوه كما حدث للخطيب البغدادي؟.

وتعرضت الجماعة الحنبلية لأزمة داخلية حادة، بين عامي: 461 ـ 465هـ/ 1068ـ 1072م)، عندما أظهر، أبو الوفاء بن عقيل (ت513هـ/1119م)، تأويله لبعض الصفات وتلقيه الكلام سرا عن شيخي المعتزلة: ابن الوليد، وابن التبان، فأنكر عليه أصحابه ذلك وحاولوا منعه من الاتصال بهما، لكنه واصل اجتماعه بهما خفية لاعتقاده أن لدى هؤلاء، علما نافعا يريد أصحابه حرمانه منه[1]، وكان يختبئ في بيت صديقه معالي الحائك[2].

ثم اشتدت مطاردتهم له، حين اطلعوا على كتب له كان قد أودعها عند معالي الحائك طلب منه حرقها، أن هو توفي على إثر مرض أصابه ـ عظم فيها المعتزلة وترحم فيها على الحلاج وأعتذر له وفسر أسراره عام 461هـ/1068م. فأفتوا بهدر دمه، وضيقوا عليه، وبثوا عيونهم لمراقبته[3]، وتتبع أخباره[4]، فهرب واختفى خوفا من القتل[5]، ولم يوقف نشاطه وظل يتنقل خفية، داعيا لأفكاره بين الشباب ويروج بينهم أن شيخه ابن التبان المعتزلي، يقول: (إن لله ولدا) فلما سمع به قال: (لعن الله ابن عقيل، فإنه كذب علي) وما يعتقد ذلك إلا كافر[6]، وفي هذه المرحلة ألف ابن عقيل، كتاب النصيحة دعا فيه إلى مذهبه تمكن بفضله نيل تأييد جماعة من الحنابلة، تأثرت به[7].

---

[1] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص: 173، 174.
[2] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج8، ص: 254.
[3] انظر: (-) George Makdisi: Autographe Diary - vol: XXIII - 1956 - 2ème partie - P:247.
[4] انظر: (-) George Makdisi: op. cite - vol: XXIII - 1956 - 2ème Partie - P:247 .et vol: XIX - 1957 1ère Partie - P:21
[5] ابن قدامة المقدسي: تحريم النظر في كتب علم الكلام، ص: 3.
[6] (-) George Makdisi: op. cite - vol: XVIII - 1956 - 2ème partie - P: 247.
[7] ابن قدامة المقدسي: المصدر السابق، ص:2-3.

وعن ابن عقيل وكتابه، يقول ابن قدامة المقدسي(ت 620هـ/1223م) إنه كان متعجبًا من تكفير الأئمة لابن عقيل، وهدر دمه[1]. لكنه ما إن اطلع على مؤلفه النصيحة، حتى تبيّن له أن الكتاب فضيحة كشفت انحراف صاحبها[2] وساهم المعتزلة، في تحريض ابن عقيل، ودفعه إلى تحدي أصحابه الناقمين عليه، فجاء به أحدهم، يُعرف بابن البسري إلى مسجد للحنابلة، ببغداد، فحدثت بداخله فتنه بين المؤيدين له، والمعارضين له، ولم يذكر ابن البناء الحنبلي تفاصيلها[3].

ويعتبر ابن عقيل، نموذجا للشباب المتأثرين بالمعتزلة، المغترين بمنهجهم العقلي، ويُعد من بين الذين (يحبون الظهور والتفوّق على الأقران، ويظهرون الاعتزال تطرفا)[4].

وبعد عشر سنوات أمضاها ابن عقيل متحديًا لأصاحبه، قرر وضع حد لمحنته التي شقّت صفّ الحنبلية[5]، فاتجه مع جماعة من رفاقه إلى ديوان الخلافة، عام 465هـ/1072، وأعلن توبته، عما صدر منه وأكد أن الحلاج قُتل على كفره بإجماع علماء عصره، ثم اعترف بخطيئته، وأشهد الحاضرين على ما أقرّ به[6]. ثم انتقل إلى رئيس الحنابلة، الشريف أبي جعفر فوجده في مسجده بنهر معلى ـ بالجانب الشرقي من بغداد ـ مع خلق كثير، فتصالح معه، وأعتذر له[7].

---

[1] نفس المصدر، ص: 3.

[2] نفس المصدر، ص: 1.

[3] انظر: George Makdisi: op. cite - 1ere partie - p:21

[4] أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص: 146.

[5] ابن كثير: البداية، ج 12، ص: 98.

[6] نفس المصدر، ج12، ص: 106.

[7] نفسه، ج12، ص:106. وابن قدامة: المصدر السابق، ص:5-6.

وكتب بخطه نص توبته، قال فيه: (إنني أبرأ إلى الله تعالى، من مذاهب المبتدعة، والاعتزال وغيره، وصحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحّم على أسلافهم، والتكثر بأخلاقهم. وما كنت علقته ووجد بخطي من مذاهبهم وضلالاتهم فأنا تائب إلى الله سبحانه وتعالى من كتابته، وقراءته وأنه لايحل لي كتابته ولا قراءته، ولا اعتقاده"[1] ثم استغفر الله، واقرّ بخطه وشهد أمام الله، والملائكة والناس، أنه تاب بدون إكراه من أحد فإن عاد إلى ما كان عليه، فعلى الخليفة أن يطبق عليه، ماتوجبه الشريعة، ثم أمضى الحاضرون على وثيقة التوبة[2].

فما الذي دفعه إلى التوبة وإنهاء محنته بعدما صبر عليها خمس سنوات؟ لم يذكر المؤرخون الذين تناولوا قضيته سببًا لتوبته[3]. لكن ابن قدامة المقدسي (ت620هـ/1223م). روى أن ابن عقيل، ركب سفينة وسمع شابًا يقول: (تمنيت لو لقيت هذا الزنديق ابن عقيل، حتى اتقرب إلى الله بقتله وإراقه دمه"[4]، فخاف وغادر الزورق واتصل برفاقه ليعلن توبته[5]. في حين يرى جورج مقدسي، أن أبا الوفاء بن عقيل، تاب، وكتب شهادته على نفسه ليسترجع حريته، بعدما طارده أصحابه خمسة أعوام[6]. وأغلب الظن أن ابن عقيل، لم ينه محنته لسبب واحد فقط وانما لجملة أسباب، منها إحساسه

---

[1] ابن قدامة: المصدر السابق، ص: 5 ـ 6.
[2] ابن قدامة: المصدر السابق ص: 6.
[3] انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص: 254 ومابعدها. وابن كثير. المصدر السابق ج12، ص: 105 ـ 106. وابن رجب الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص: 174 وما بعدها أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص: 259.
[4] ابن قدامة المقدسي: تحريم النظر، ص: 3.
[5] نفس المصدر، ص: 4.
[6] ابن عقيل: كتاب الفنون، مقدمة المحقق، ص: 29.

بالذنب فيما أحدثه من نزاع واقتتال بين أصحابه، وخوفه على نفسه من القتل بعدما أهدر الحنابلة دمه واشتدوا في طلبه. وتخلصه من الإنبهار الذي غشيه بالاعتزال ورجاله. إلى جانب رغبته في استرداد حريته المصادرة، بعدما ضاق ذرعا بالحصار المفروض عليه.

ورغم ابتعاده عن المعتزلة، فإنه لم يتمكن من التخلص من أثارهم في فكره، فبقي متذبذبا في اعتقاده، فمرة ينفي الصفات الخبرية، ويوجب تأويلها تأثرا بهم. ومرة أخرى، يثبتها ويرد على نفاتها، ويحرّم تأويلها، إنتصارا لأهل الحديث[1]. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن ابن عقيل، ظل متمسكا بالحنبلية، رغم ما أصابه على يد أصحابه، فلم يحاول الإنظمام إلى المعتزلة كلية، أو إلى الشافعية ليجد الحماية، والحرية لدى هؤلاء، كما وجدها الخطيب البغدادي(462 هـ/1059م)، وأبو الفتح بن الحمامي(ت518هـ/ 1124م)، حين تخليا عن مذهب أحمد بن حنبل، والتحقا بالأشاعرة. وقد منعه من ذلك إيمانه الصادق بمذهبه لأنه عندما اتصل بالمعتزلة كان يرغب في الإطلاع على ما عندهم، لينتفع به، وليس ليلتحق بهم[2] فهو شديد الحب للطائفة الحنبلية معتقدا أنها الفرقة المحقة الخالية من البدع[3].

وتعد فتنه ابن عقيل، أخطر أزمة داخلية، ألمت بالحنابلة في القرن الخامس الهجرى /11م، فأحدثت فيهم، تصدعا كاد أن يعصف بوحدتهم. لم يرو المؤرخ الحنبلي، ابن البناء ـ المعاصرلها ـ تفاصيلها، وكان يكتفي بالدعاء

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، طبعة، ص: 444.

[2] ابن رجب: الذيل، ج1، ص: 173.

[3] نفس المصدر، ج1، ص: 184.

لطائفته بقوله (.. والله سبحانه، يزيل الاختلاف بين الأصحاب ويؤلف الكلمة، ويعز السنة وأهلها، أبدا إن شاء الله[1]). وقد ساهم المعتزلة والهاشميون في تعميق الشقاق بين ابن عقيل، وأصحابه لدفعهما إلى مزيد من المواجهات الدامية[2]. لكن الحنابلة - بعد سنوات من النزاع - تمكنوا من وضع حد لتلك الفتنة، التي تركت آثارا عميقة، في فكر أبي الوفاء بن عقيل وسلوكه[3]. وبينت أن جماعتهم لم تكن تتمتع، بوحدة فكرية مذهبية تامة، ولا بتجمع كامل الإنضباط والإنصهار، لكن ذلك لم يوهن من قوتها، وعزيمتها لنشر فكرها، ومنازلة خصومها الذين لم يكونوا - هم كذلك - بمعزل عن نزاعات وانقسامات مذهبية حادة.

(و) النزاع داخل الجماعة الشافعية الأشعرية ببغداد:

كانت الجماعة الشافعية ببغداد، على مذهب الشافعي، في الفروع، وعلى منهج السلف وأصحاب الحديث في أصول الدين إتباعا لإمامهم الذي يثبت أيات الصفات وأحاديثها ويمررها كما جاءت من غير تكييف، ولاتشبيه، ولاتعطيل، ولاتحريف[4]. لكنها فقدت وحدتها، وتماسكها تدريجيا بعد إلتحاق أبي الحسن الأشعري(ت 324هـ/838م)بها[5]، وإنتساب أصحابه من بعده إليها[6].

---

[1] (-) George Makdisi: Autographe. Diary - vol:19 - 1ère partie - 1957 - P:23

[2] (-)George Makdisi: op. cite - vol: 19 - 1ère partie - 1957 - P:21 et seq.

[3] ابن كثير: البداية - ج12، ص: 98. وابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة - ج1 - ص: 174.

[4] انظر نفس المصدر - ج10، ص: 254. وابن القيم: إجتماع الجيوش الإسلامية - ص: 71.

[5] نفس المصدر - ج11، ص: 187

[6] ابن الجوزي: المنتظم - ج6، ص: 359.

ويعتبر رئيس الشافعية أبو حامد الاسفرايني(ت406هـ/1015م)، من الأوائل الذين قاوموا محاولات الأشاعرة، التسرب إلى الشوافع، فكان لا يعد أبا الحسن الأشعري، من أصحاب الشافعي[1] وصرح أنه ليس على مذهب الأشعري وأبي بكر الباقلاني، في مسألة خلق القرآن[2] وكان يطارد الباقلاني، في شوارع بغداد، وأجبره على التخفي فأصبح لا يذهب إلى الحمام إلا في حالة تمويه خوفا منه[3].

لكن مقاومة أبي حامد الاسفرايني، لم تفلح في منع تسلل الأشعرية إلى جماعته فكثر معتنقوها، من أصحابه حتى أصبح غالبية الشوافع على مذهب أبي الحسن الأشعري[4]. وكان أبو بكر بن فورك(ت410هـ/1019م) من الأوائل الذين خالفوا السلف، فأوّل الصفات الخبرية في كتابه: التأويلات[5] ثم سار على نهجه كبار علماء الشافعية كإمام الحرمين الجويني، وأبي حامد الغزالي[6].

وبقيت الجماعة الشافعية، مضطربة في مسألة الصفات، فأبوا الحسن الأشعري وكبار أصحابه، كالباقلاني وأبي عبد الله بن المجاهد، يثبتون الصفات الخبرية التي جاءت في القرآن الكريم كالإستواء على العرش والوجه، واليدين[7] لكن متأخري الأشاعرة في القرن الخامس الهجرى وبعده، ادعوا أن

---

[1] ابن تيمية: موافقة صريح المعقول، ج2، ص: 53.

[2] نفسه، ج2، ص: 53.

[3] نفس المصدر، ج2، ص: 54

[4] ابن الجوزي: المنتظم، ج6 ص: 359.

[5] أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج2، ص: 197.

[6] خليل هراس: دعوة التوحيد، مصر مطبعة الإمام، بدون تاريخ، ص: 289.

[7] ابن القيم: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: 137.

لإمامهم في مسألة الصفات قولين، إثباتها أو تأويلها مخالفين بذلك ماهو ثابت عن الأشعري من إثباته للصفات وعدم تأويلها وكان إمام الحرمين الجويني مضطربا، فأوّلها في كتاب الإرشاد ثم رجع عن التأويل في رسالته النظامية، وحرّمه، ونقل إجماع السلف على تحريمه، وأنه ليس بواجب ولاجائز[1].

ووُجد من الشافعية من لم ينتم إلى الأشعرية، وانتسب إلى فئات أخرى من أهل السنة، فأبو الحسن الهكاري(ت476هـ/1083م)، كان على مذهب الشافعي في الفقة، وعلى إعتقاد أحمد بن حنبل في الأصول[2]. وأبو الخطاب الصوفي (ت 476هـ/1083م) كان شافعيا، ثم تحنبل وله قصيدة مطولة في مذهب الحنابلة منها قوله:

فكن حنبليا تنج من كل بدعة ****** فأحمد عند الله في الزهد أبرع[3].

وظلت جماعة عبد الصمد أهل الحديث، من الشافعية و الحنابلة، أخذت على عاتقها القيام بالحسبة، والتصدى لمن يخالف مذهب السلف[4].

وكان إمام أهل الحديث في زمانه أبو عثمان الصابوني الشافعي (ت449هـ/1057م)، يثبت الصفات الخبرية، كاستواء الله على عرشه فوق سمواته، ولا يؤولها كتأويل متأخري الأشعرية[5]. والخلاصة أن الطائفة الشافعية ببغداد، عرفت اضطرابا، وتناقضا في مسائل أصول الدين، فالأشعري

---

[1] ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، ص: 137.

[2] ابن كثير: البداية، ج12، ص: 145.

[3] ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج1، ص: 59و62.

[4] أنظر: ابن الجوزي: المصدر السابق، ج8، ص: 236. و ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص: 129، وابن الأثير: الكامل، ج9، ص: 576. و George Makdisi: I.B.N Aqil: P: 337.

[5] ابن القيم: اجتماع الجيوش، ص: 119.

وأصحابه الأوائل لهم منهج، والمتأخرون لهم منهج آخر، وإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي، على منهج مغاير لهؤلاء كلهم، وإن كان قريبًا من مذهب المتقدمين، وبعيدًا عن منهج المتأخرين. فأحدث ذلك بلبلة، وشرخًا في صفوف الجماعة الشافعية وفكرها.

وختامًا للنزاع الذي حدث بين فئات أهل السنة، ببغداد، أشير إلى أن آثاره كانت عميقة في أفكارهم، وسلوكياتهم. وقد تجلت نتائجه السيئة، في تميز كل فئة عن الأخرى بمذهبها، ومساجدها، ومدارسها، وأحيائها السكنية[1]، الأمر الذي كرس الشقاق، وأذهب أمل الوفاق.

---

[1] من ذلك انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص: 448. وابن كثير: البداية مج12، ص: 125 ـ 126 وص: 160. وابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص: 10. وأكرم ضياء العمري: موارد الخطيب البغدادي، ص: 23.
George Makdisi: I.B.N Aqil - P:326

الخاتمة

والنتائج التي يمكن استخلاصها من فصول الكتاب، عديدة ومتنوعة. منها أن الطائفة السنية هي جماعة المسلمين منذ صدر الاسلام، مثّلها في بغداد أصحاب الحديث، من الحنابلة والشافعية. وفي القرن الرابع الهجري/10م انتسب إليها الأشاعرة. وقد تميزت بفكرها، ومنهجها عن الشيعة والخوارج والمعتزلة. ومذهبها، يتفق أتم الاتفاق مع القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة وهذا ما لا نجده في المذاهب الأخرى.

وتبيَّن كذلك أن أهل السنة ـ خلافاً للطوائف الأخرى ـ اعترفوا بشرعية دولة بني العباس، وانتدبوا أنفسهم لخدمتها، ونالوا ثقة معظم خلفائها. ولم يمنعهم ولاؤهم لها، الانكار على رجالها والنصح لهم. واستغلوا نفوذهم فيها، لنصرة مذهبهم تمكينا له على حساب خصومهم من الشيعة والمعتزلة. وفي بعض الفترات اظهروا معارضتهم لها، عندما جارت عليهم أيام الخليفة المأمون والمعتصم والواثق، في محنة خلق القرآن. ولم يستخدموا العنف في التصدي لها إلا في أوقات محدودة. ولم يكن هدفهم إسقاطها، أو التأثير في جهاز حكمها وما قيل أنهم سعوا إلى توصيل، ابن المعتز إلى السلطة لإقامة خلافة بربهارية حنبلية لم يثبت.

وفيما يخص النزاع المذهبي ببغداد، فإن أهل السنة دخلوا في مواجهات طائفية دامية مع خصومهم من المعتزلة، والشيعة، بسبب الخلاف المذهبي، واصرار كل طرف على إظهار عقائده، وتحدي معارضيه. وتتحمل كل طوائف المجتمع مسؤولية تصعيد النزاع وإذكاء التعصب المذهبي، الأمر الذي أدى، إلى تفريق أبناء البلد الواحد، وتدمير عمرانه وكان عليها وعلى عقلائها أن يعملوا على حقن الدماء، وإيثار الصالح العام على مصالحهم الطائفية الضيقة.

ولم تتمكن الجماعة السنية ببغداد، من الحفاظ على تماسكها ووحدتها، فانشقت على نفسها إلى سلف، وخلف، ودخل الحنابلة والأشاعرة في نزاع مذهبي دموي، قتل فيه خلق كثير من الجانبين. كان على فقهاء أهل السنة وعلمائهم، أن يسخروا أقلامهم للتقريب بين وجهات النظر المختلفة، في مسائل الفقه، وتحرير مذهب السلف في أصول الدين تحريرًا علميًا بعيدًا عن التعصب والتزييف، لإحقاق الحق وجمع السنيين على منهج السلف، لكن الذي حدث أن علماء الفريقين، كانوا هم السبب في إثارة الفتن تأييدًا لمعتقداتهم. ولا يعود الشقاق بين الجماعتين إلى سنة 469هـ/1076م، على ماذهب إليه ابن عساكر وابن تيمية حين حدثت فتنة أبي نصر بن القشيري، وإنما يرجع إلى قبل ذلك بأكثر من عشرين سنة وقد أثار أخطر الفتن التي جرت بين الفريقين وعاظ أشاعرة غرباء عن بغداد، دخلوها لنصرة مذهبهم، والتحامل على خصومهم الحنابلة.

وقد بينت حوادث النزاع أن الحنابلة كانوا أكثر أهل السنة، حرصًا على نشر أفكارهم ببغداد، والتصدي لمعارضيهم، فدخلوا في صراع عنيف متعدد الجبهات، أكسبهم خبرة واسعة، في حرب الشوارع، ومكنهم من إستقطاب أصحاب الحديث، وكثير من العامة حولهم. واشتهروا أكثر من غيرهم من فئات المجتمع بالتطرف والتعصب وذلك لشدة تمسكهم بمذهبهم وميلهم إلى تطبيقة بالقوة من جهة، وإلى كثرة خصومهم الناقمين عليهم من جهة أخرى. ولم تثبت دعوى تحميلهم مسؤولية محنة الصوفية عام 262هـ/873م، كما أنهم لم يؤيدوا الحلاج ولم يقفوا بجانبه وإنما سايروا أهل السنة في قتلهم له.

انتهى

وبالله التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) القرآن الكريم.

2) الأصفهاني أبو نعيم(ت430هـ/1038م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ 1967.

3) ابن الجوزى عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): مناقب الامام أحمد ـ ط3 ـ بيروت ـ دار الآفاق الحديثة ـ 1982.

4) ابن الجوزى عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): تلبيس إبليس ـ تحقيق محمد منيرالدمشقي ـ مصر ـ مطبعة النهضة ـ 1928.

5) ابن الجوزى عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ الدكن مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ 1359هـ.

6) ابن أبي يعلي أبو الحسين(ت526هـ/1131م): طبقات الحنابلة ـ تحقيق حامد الفقي ـ مصر مطبعة السنة الحمدية ـ 1962.

7) ابن كثير عماد الدين(ت 774هـ/1372م): البداية والنهاية ـ ط6 ـ بيروت منشورات دار المعارف ـ 1985.

8) ابن كثير عماد الدين(ت774هـ/1372): تفسير القرآن العظيم ـ ط1 ـ بيروت دار الأندلس ـ 1966.

9) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): مجموع فتاوى شيخ الاسلام جمع وترتيب ابن قاسم ـ الرباط ـ مكتبة المعارف ـ بدون تاريخ.

10) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): الخلافة والملك ـ باتنة ـ شركة الشهاب ـ بدون تاريخ.

11) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): نقض المنطق ـ صححه محمد حامد الفقي ـ القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية ـ بدون تاريخ.

12) ابن تيمية(ت 728هـ/1328م): موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ـ حققه حامد الفقي القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية ـ 1950.

13) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): الرسالة التدمرية ـ باتنة ـ شركة الشهاب ـ 1989.

14) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): مجموعة الرسائل الكبرى ـ ط1 ـ مصر ـ المطبعة العامرية الشرقية ـ 1323هـ.

15) ابن تيمية(ت728هـ/1328م): منهاج السنة النبوية ـ حققه محمد رشاد سالم ـ بيروت مكتبة دار العروبة ـ بدون تاريخ.
16) ابن القيم الجوزية(ت751هـ/1350م): إجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الجهمية والمعطلة ـ مصر مطبعة الإمام ـ بدون تاريخ.
17) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن(ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ ـ بيروت ـ دار صادر ـ 1965.
18) ابن عساكر أبو القاسم علي(ت571هـ/ 1164م): تبيين كذب المفترين فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ـ حققه محمد زاهد الكوثري، ط3، بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ 1984.
19) ابن رجب عبد الرحمن الحنبلي(ت795هـ/1394م): الذيل على طبقات الحنابلة ـ حققه سامي الدهان، وهنري لاوست ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ 1370هـ 1951م.
20) ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي(ت1089هـ/1679م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ بيروت ـ المكتب التجاري ـ بدون تاريخ.
21) ابن خزيمة محمد بن إسحاق(ت 311هـ/923م): كتاب التوحيد ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ 1978.
22) ابن قدامة المقدسي(ت 620هـ/1223م): تحريم النظر في كتب أهل الكلام ـ تحقيق جورج مقدسي ـ لندن1962.
23) ابن رشد أبو الوليد الحفيد(ت 595هـ/1198م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد ـ بيروت ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ.
24) ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1406م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ 1957.
25) ابن عقيل أبو الوفاء(513هـ/1119م): كتاب الفنون ـ حققه جورج مقدسي بيروت ـ دار المشرق بدون تاريخ.
26) ابن النجار محمد بن محمود(ت643هـ/1245م): ذيل تاريخ بغداد ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ بدون تاريخ

27) ابن الوردى زين الدين عمر(ت750هـ/1349م): تتمة المختصر في أخبار البشر - ط1 - بيروت - دار المعرفة - 1970.

28) أبو يعلي الفراء(458هـ/1066م): المعتمد في أصول الدين حققه وديع زيدان - بيروت - دار المشرق.

29) ابو الفداء عماد الدين إسماعيل(ت732هـ/1331م): المختصر في اخبار البشر - دار الكتاب اللبناني - بدون تاريخ.

30) بدر الدين ابو عبد الله الحنبلي: مختصر فتاوى ابن تيمية - بيروت - دار الكتب العلمية - بدون تاريخ.

31) الخطيب ابو بكر البغدادى(ت462هـ/1059م). تاريخ بغداد - بيروت دار الكتاب العربي - بدون تاريخ.

32) المحاسبي الحارث بن أسد(ت243هـ/857م). العقل وفهم القرآن - تحقيق حسن القوتلي - ط3 - بيروت - دار الكندى - 1402هـ/1982م.

33) الذهبى شمس الدين(ت848هـ/1374م): سير علام النبلاء - حققه شعيب الارناؤوط وآخرون - بيروت - مؤسسة الرسالة - 1982.

34) الذهبى شمس الدين (ت848هـ/1374م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال - حققه على محمد البجاوى - بيروت - دار المعرفة - بدون تاريخ.

35) السبكى تاج الدين(ت771هـ/1363م): طبقات الشافعية الكبرى - حققه محي الدين عبد الحميد - ط1 - القاهرة - مطبعة البابي الحلبي - 1964.

36) السراج ابو نصر الطوسي :(ت378هـ/ 988م): اللمع في التصوف - حققه عبد الحليم محمود، وعبد الباقي سرور - مصر - دار الكتب الحديثة - 1960.

37) السمعاني ابو سعد(ت562هـ/1166م): الانساب - حققه عبد الرحمن المعلمي اليماني -حيدر أباد - الهند - دائرة المعارف العثمانية - 1963.

38) السيوطي جلال الدين(ت911هـ/1505م): تحذير الخواص من أكاذيب القصاص - حققه محمد الصباغ - بيروت - المكتب الاسلامي - 1982.

39) الصفدى صلاح الدين(ت764هـ/1363م): كتاب الوافي بالوفيات - حققه س.د. ريدنغ - دمشق - المطبعة الهاشمية - 1959.

40) الصولي أبو بكر(ت337هـ/948م): اخبار الراضي بالله والمتقي لله ـــ مصر ـ مطبعة الصاوي ـ 1935.

41) الطبرى أبو جعفر بن جرير(ت310هـ/967م): تاريخ الامم والملوك ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ 1939.

42) الكليني يعقوب(ت 329هـ/940م): الأصول من الكافي ـ طهران ـ دار الكتب الاسلامية ـ 1328هـ.

43) مسكويه أبو على(ت364هـ/1030م): تجارب الأمم ـ حققه آمدروز القاهرة ـ بدون ناشر ـ 1914.

44) المسعودى أبو الحسن علي: (ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ط1 ـ بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ومكتبه المدرسة ـ 1982.

45) مؤلف مجهول: كتاب العيون والحدائق في معرفة الحقائق ـ حققه قمر السعيدي ـ دمشق ـ المعهد الفرنسي ـ 1972.

46) الهجو يرى: كشف المحجوب ـ دراسة وترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادى قنديل ـ مراجعة عبد المجيد بدوى ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ 1980.

47) الصابئ إبرهيم هلال(ت384هـ/994م): كتاب الوزراء وتحفة الامراء في تاريخ الوزراء ـ حققه عبد الفتاح سراج ـ مصر ـ دار احياء الكتب العربية ـ 1958.

48) ياقوت الحموى شهاب الدين(ت628هـ/1144م): معجم البلدان ـ بيروت ـ دار صادر ـ 1968.

49) ياقوت الحموى شهاب الدين (ت628هـ/1144م): معجم الأدباء ـ مصر ـ دار المأمون ـ بدون تاريخ.

50) اليافعي المكي: مرآة الجنان في أخبار الزمان ـ ط 2 بيروت ـ منشورات الأعلمي ـ 1970.

المراجع العربية:

1) أبو عذه عبد الفتاح: مسألة خلق القرآن وأثرها في الرواة ـ بيروت ـ مكتبة المطبوعات الاسلامية ـ بدون تاريخ

2) أبو ريان على: تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ـ دار الجامعات المصرية ـ 1974.

3) أمين احمد: ظهر الاسلام ـ ط3 ـ مصر ـ مكتبة النهضة المصرية ـ 1962.

4) بدوى عبد الرحمن: شخصيات قلقة في الإسلام ـ ط3 ـ الكويت ـ وكالة المطبوعات ـ 1978

5) الحوالي سفر عبد الرحمن: منهج الأشاعرة في العقيدة ـ ط1 ، الجزائر ـ الدار السلفة ـ 1990.

6) الدجيلي عبد الصاحب: اعلام العرب في العلوم والفنون ــ ط2 ــ النجف ــ مطبعة النعمان ـ 1966.

7) خان محمد صديق حسن: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر حققه عاصم القريوتي ـ ط2 ـ الجزائر ـ دار الإمام مالك ـ 1414هـ.

8) الخالدى محمود: البيعة في الفكر السياسي الإسلامي ـ الجزائر ـ شركة الشهاب ــ 1989.

9) رضا محمد رشيد: الخلافة ـ موقم للنشر ـ الجزائر ـ 1992.

10) سابق السيد: فقة السنة ـ ط7 ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ بدون تاريخ.

11) سوسة أحمد، وجواد مصطفى: دليل خارطة بغداد قديمًا وحديثًا ـ العراق ــ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ 1959.

12) سرور طه عبد الباقي: الحلاج شهيد التصوف الاسلامي ــ ط1 القاهرة ــ المكتبة العلمية ـ 1967.

13) شعبان محمد: الدولة العباسية ـ ط1، بيروت ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ 1986.

14) الشكعة مصطفى: الأئمة الاربعة ـ ط1 ـ القاهرة ـ بيروت ـ دار الكتاب المصرى ـ دار الكتاب اللبناني ـ 1979.

15) الشكعة مصطفى: إسلام بلا مذاهب ـ القاهرة ـ دار القلم ـ 1961.

16) صبحي محمود: في علم الكلام ـ ج2 الاشاعره ـ ط5 ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ 1985

17) الصعيدى عبد المتعال: القضايا الكبرى في الاسلام ـ ط2 ــ مصر ــ مكتبة الأداب ــ 1960.

18) العمرى أكرم ضياء: موارد الخطيب البغدادى ـ دمشق ـ بيروت ـ دار القلم ـ 1975.

19) عبد الشماني: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية ـ ط4 ـ بيروت دار صادر ـ 1965.
20) العقل ناصر عبد الكريم: مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة ـ ط1 ـ البليدة ـ دار ابن تيمية بدون تاريخ.
21) عفيفي أبو العلاء: التصوف الثورة الروحية في الاسلام ـ بيروت دار الشعب بدون تاريخ.
22) فامر هنري جورج: تاريخ الموسيقى العربية ـ بيروت ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ.
23) القاسمي ظافر: الحياة الاجتماعية عند العرب ـ ط2 ـ بيروت ـ دار النفائس ـ 1981.
24) القيسي محمد: المساجد بين الاتباع والابتداع ـ الجزائر ـ دار القلم. بدون تاريخ.
25) لبيب محمد: محاضرات في السلفية ـ الجزائر ـ دار ابن تيمية.
26) مرزوق عبد الوهاب عبد الرزاق: العراق بلد التراث والمقدسات الاسلامية ـ العراق ـ مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ـ بدون تاريخ.
27) محمود عبد القادر: الفلسفة الصوفية في الاسلام، مصادرها، ونظرياتها ـ مصر ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ.
28) الندوى أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة في الاسلام ـ ط6 ـ الكويت ـ دار القلم ـ 1994.
29) النشار سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ـ ط3 ـ مصر ـ دار المعارف ـ 1965.
30) نيكلسون رينولد: في التصوف الاسلامي وتاريخه ـ ترجمة أبي العلاء عفيفي القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ 1956.
31) يوسف العش: الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد ومحدثها ـ دمشق ـ المكتبة العربية ـ 1945.

الموسوعات:

1) دائرة المعارف الاسلامية
2) الموسوعة العربية الميسرة ـ بيروت ـ دار احياء التراث العربي ـ بدون تاريخ

المراجع الاجنبية:

الكتب:

1) IBN taimiya: Le traite du droit publique - traduit par Henri Laoust - ENAG - Editions - 1990
2) Laoust Henri: La profission de foi d'ibn baua - institut Français- Damas - 1958.
3) Makdisi George: IBN. Aqil et resurgence de l'islam traditionaliste - institut Français - Damas - imprimerie catholique - 1963.
4) Massignon louis: La passion de Halladji - Martye Mystique de L'islam - paris - Bibliotheque - des idés - 1975.

الدوريات:

1) Allard Mechal: un panphlet contre a L'âshari -B.E.O. tome: XXIII - damas - 1970

الأهوازي: مثالب ابن أبي بشر - نشره ميشال الارد في المجله أعلاه

2) Makdisi George: quatre opuscules d'ibn Âqil sur le Coron - B.E.O. damas - tome: XXIV - 1971.

ابن عقيل: الرد على الاشاعره العزالـ نشره جورج مقدس في المجلة السابقة.

3) Makdisi George: Autographe Diary of An Eleventh century historian of Baghdad - Bulletin of the school of oriontal and African studies (university of london) XVIII - 1956 - XIX - 1957.

في هذه المجلة نشر جوج مقدسي يوميات ابن البناء الحنبلي. وترجمها إلى الانجليزية.

فهرس المحتويات